

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَلَبُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الاستباز

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

١٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

للطلاب وجنود الجيش

٨ عن سنة كاملة

٤ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

ذو القعدة سنة ١٣٧٣

يوليو سنة ١٩٥٤

أَنْتِ ..

أعجبني من القصص الرمزية قصة الملك والمسل ... فقد زعموا أن ملكاً أراد أن يمتحن عواطف شعبه فاختر ليلة محاق في وقت شح فيه المسل ، وطلب من الناس أن يضع كل منهم (فنجاناً) من المسل في وعاء ضخم على قمة تل وسط المدينة ، وضرب لهم موعداً بعد منتصف الليل ... فتوافد الناس زرافات ملبين دعوة الملك ، ومع كل منهم (فنجاناً) الملىء ، ولكن بعضهم راودته « فكرة » لا تحرمه الذهاب مع الداهيين ، وتعفيه في الوقت ذاته من عناء الدعوة وتكاليف التلبية ، فإن المسل غالٍ ، والليل ظلام ، ولا عليه أن يكون كأسه من ماء مادام الوعاء ستملاًه كؤوس الآخرين ...

وقالوا إن الملك قصد إلى وعائه مع الصبح ، فوجده كله ماء ، وغاب المسل حين انتظره كل واحد من غيره واكتفى هو بالماء الذي لا عناء فيه ...

هذه القصة على بساطتها ترمز إلى معنى كبير ، ونصور حقيقة الداء الذي تمانيه الدعوة من الناس في كل مكان .

ربما احتاج الناس قبل سنين إلى من يصرخ فيهم أن أفيقوا وأذكروا الذي عليكم ، ولكنهم الآن غيرهم بالأمس ، وقد أصبحوا يسمرون في المجالس والمحافل بالحقائق التي جعلتها الأحداث والمصائب كفلق الصبح ، فما بالهم يقفون حيث هم ولا يتحركون ، وما بالهم يرون ويسمعون ويقرأون ويمجبون ثم لا يتغيرون ؟ !

إن الأمر لا يبدو شأن الشعب المتمتعن في قصة الملك . . . واكتفاء كل منهم بالماء منتظرا من غيره العسل !

إن الداء يكمن في الأساس الذي يقوم عليه تفكير هؤلاء وعواطفهم ، في نقطة البداية في رؤوسهم ونفوسهم . . . إنهم يقولون إن المسلمين مسئولون ، ومقصرون ، وذلك قول حق ، ويُعملون فكرهم في تفاصيل المسئولية ونواحي التقصير ، وفي كثير من فكرهم حق وفي كثير منه إحساس كريم ، ولكنه فكر لا يأخذهم إلى نتيجة ، وإحساس لا يكفي وحده ليضع شيئا ، ثم يصير الأمر إلى شكوى من كثرة الكلام وقلة العمل ، ثم تصبح الشكوى من كثرة الكلام موضوعا يتكلمون فيه ، وهكذا دواليك في حلقة مفرغة . . .

الداء هنا . . . في كل واحد منهم مهما فكروا ومهما أحسوا ، في أساس تفكيره الذي يلقي التبعة على المسلمين جميعا وينسى واحدا ، وفي مركز عاطفته التي تتوجع على تقصير الناس جميعا وتنسى واحدا : نفسه هو . ولو أنه ذكر نفسه فبدأ بها إذا لوجد الحق ركيزة يعتمد عليها ، وحلقة تشده إلى الواقع الذي لا تغيरे الأسمار والأوجاع وحدها . . .

ليس لقائل أن يقول : « إن المسلمين مسئولون » وينسى نفسه ، بل عليه أن يضيف إلى ذلك : « وأنا في أولهم لأنني عرفت هذا » ثم يبدأ هو . . . و « أنا » في هذا المقام ليس معناها : أنا فلان ، وليست هي « أنا » السوداء المدمرة التي قالها الشيطان ، ولكن معناها : أنا الذي سأعمل وأبذل وأحترق ، ووراءها فكرة ناضجة وعاطفة طاهرة ، وأمامها في العمل محراب لا يعبد فيه غير الله . وحين يجد الحق « أنا » هذه في نفس صاحبها فقد وجد خطوته المباركة في دنيا الناس ،

واستمع معي إلى قول الله : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » : أمره أن يعلن واقفا قائما لا يدّعيه ، هو بدؤه بنفسه قبل أن يتبعه أحد ، وأردف ذلك بتبرئة هذا البدء من الشرك ، وجعل وراءه البصيرة التي تكفل دائما وحدة الهدف في الطريق المشرق إلى الله ... وفي آية أخرى : « وأنا أول المسلمين » .

وفي آية ثالثة : « وقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك » ، وهنا يبلغ المعنى في نفسك تماما حين تذكر أن الذي خوطب بذلك هو الرجل الذي أرسله الله للناس ، وكلفه بدعوتهم ، وعصمه العصمة الكاملة في كل ما يدعوهم إليه ! أجل ...

ذلك هو الأساس ... الأساس الفردي من وراء كل ما شرع الله للناس ، ومن وراء كل ما يمكن أن يصبر الناس إليه من خير ... إن خطاب التشريع في القرآن هو « يا أيها الذين آمنوا » وحين يكون الإيمان مناط التكليف فإن معنى ذلك أن حقيقة الفرد هي أساس البناء ، وأن كل وضع يقوم على غير ذلك تلفيق ! إن المجتمع الإسلامي الأول إنما أدرك كجمله في اجتماعه واقتصاده وسياسته بعد أن استوت قوائمه على النذير الرهيب في قول الله « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدداً وكنهم آتية يوم القيامة فردا » . وإنك لتشعر حين تقرأ القرآن كله أنه يخاطبك أنت ، وتلفتك زواجره حين تنقلت فيه إلى أن الله يراك ، ويسمعك ، ويبصرك ، ولا يعزب عنه شيء من أمرك ، وإلى أن عملك وحده هو الذي ينفعك عنده « كل نفس بما كسبت رهينة » ولا يفنيك معه التعلل بالمعاذير « بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » .

فابدأ أيها المسلم بنفسك ، واعلم أنك مسئول بقدر ما تعلم « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ولا تحاسب غيرك قبل أن تأمن أنت الحساب !

أما أنتم أيها الدعاة ، فاذكروا أن حقائقكم أنتم هي أساس البناء ؛ فاتقوا الله في أنفسكم ، ولا يشغلنكم عريض القول عن مواجهة أنفس الناس .

سعيد رمضان

دَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَدَوَائِهِمْ

لسماحة الأستاذ السيد محمد البشير الإبراهيمي

رئيس جمعية العلماء بالجزائر

تمهيد :

الباحث في أحوال المسلمين بحث تقصّ واستقراء رجل من اثنين ، رجل من أنفسهم ورجل من غيرهم . وكلا الرجلين يجتمع بصاحبه في نقطة تبعث الحيرة وهي : كيف يسقط المسلمون هذا السقوط المريع وفيهم كل أسباب الصمود وبين أيديهم كل ما ارتقى به أسلافهم ؛ فأصول الدين من كتاب وسنة محفوظة لم يضع منها شيء ، وأسباب التاريخ واصله لم ينقطع منها شيء ، واللغة إن لم ترتق لم تنحدر ، والعرب الذين هم جذم الإسلام ما زالوا يحتفظون بكثير من الخصائص الجنسية ومعظمها من المكارم والفضائل ، والأرحام العربية ما زالت تجدد من بين العرب من يملأها بيلالها ، فلم يُخف الجفاء كله وإن لم توصل الوصل كله ، والتجاوب الروحاني الذي تُردد صده كلمة الشهادة في نفوس المسلمين وكلمة التلبية في جنبات عرفات لم يتلاش تماماً ، والأرحام التشابكة بين المسلمين لم تُخف الجفاف الذي يقطع الصلة . ومن السنن الكونية المقررة في سقوط الأمم وعدم امتداد العزة والرق فيها أن ينسى آخرها مآثر أولها فينقطع التيار الدافع فيتمطل التقدم . والمسلمون لم ينسوا مآثر سلفهم ، بل هي بينهم مدونة محفوظة مقطوع بها بالتواتر ، بل هم أكثر الأمم احتفاظاً بمآثر السلف وتدويناً لها ، ولا يعرف بين أمة الأرض أمة كتبت علماؤها فيما يسمونه الطبقات والسير مثل ما كتبت المسلمون في ذلك .

والباحث الأجنبي معذور إذا تحير ، وقد يخفف عنه ألم الحيرة ابتهاجه بهذا السقوط ، وأن يحثه عن الداء ليس بقصد الدواء ، فقد عودنا كثير من هؤلاء الباحثين الأجانب أنهم لا يبحثون لذات البحث ، ولا يدرسون هذه المواضيع لوجه التاريخ الخالص ، فضلا عن أن نجد عندهم ما يطلب من العالم المخلص ، وهو أن يرمي يبحثه ويعلن نتائج بحثه إلى تنبيه الضال ليهتدي والمريض ليسمى في الاستشفاء

والساقط ليأخذ بأسباب الصمود والنهوض ، وإفهامه أن الأيام دول ، وأن من سار على الدرب وصل ، بل نرى أكثرهم يعتمد إضلالنا في تحليل الأشياء ، كي لا يقف المريض على حقيقة دائه فينفل مفتراً ، أو يعالج داءه بداء أضر ، أو يضع الدواء في غير موضعه ، وقد رى منهم من ينتهي من بحثه بنتيجة وهو أن سبب انحطاط المسلمين هو الإسلام نفسه . . . وإن من يستطب لدائه بإشارة عدوه لتحقيق بأن يسمع مثل هذه النصيحة . . .

أما الباحثون في أحوال المسلمين من المسلمين فهم ينقسمون إلى فريقين - بعد اتفاقهم على أن الجسم الإسلامى مريض وأن مرضه عضال - فريق منهم هدى إلى الحق قمر أن الجسم الإسلامى لا مطعم في شفائه إلا إذا عولج بالأشفية القديمة التى صح بها جسم سلفه ، وغذى بالأغذية الصالحة التى قوى عليها سلفه ، وذلك أنه أقام الدين فاستقامت له الدنيا ، وانقاد إلى الله فانقاد له عباد الله ، وأخذ كتاب الله بقوة ، فشى على نوره إلى السعادة فى الدارين ، وأرشده إلى أن سعادة الدنيا عز وسلطان ، وعدل وإحسان ، وأن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها ولا نهاية لها ، واطمئنان لا خوف معه ولا كدر فى أمثائه ، ورضوان من الله أكبر .

وفريق منهم ضل عن الحق فى الدواء ، لأنه ضل قبل ذلك فى تشخيص الداء ، وضل من قبل ذلك فى طريقة البحث فتلقاها من أعداء الإسلام زائفة ملتوية ، وضل من قبل أولئك فى أسلوب التفكير ، فهو يفكر بعقل ملثا بلوثات هذه الحضارة الخاطئة الكاذبة المستمدة من أصول الاستعمار الذى يسقى الأقربين ما يرويههم ، ويفذى الأبعدين بما يرديههم ، ثم يحتثم من أصولهم ولا يلحقهم بأصوله ، ويتركهم منملقين بأسباب هذه الحضارة مفتونين بها ، مهجورين منها ، وقل ما شئت فى العاشق المهجور ، الذى لا يملك من أسباب الحب إلا الفشور ، ولا يملك من أسباب الوصل شيئاً . وقد علمنا من سنن الحب أن أعلاء ما كانت معه كبرياء تزع ، واعتداد بالنفس يأخذ ويدع ، وقوتان إحداها تدلل ، والأخرى تدلل ، أما هؤلاء العشاق المتيمون بحضارة أوروبا وعلومها وتهاويلها فقد فقدوا الشخصية التى تحفظ التوازن فى ميدان العشق وتحفظ لصاحبها خط الرجوع .

هذا الفريق المزور على الإسلام ، الذى لا صلة له به إلا بما لا كسب له فيه كاسمه ولقبه — يرى أنه لا نجاة للمسلمين إلا بالانسلاخ عن ماضيهم ودينهم ، والانفاس فى الحضارة الغربية ومقتضياتها من غير قيد ولا تحفظ ، وهو يعمل لهذا جاهداً ، يُسرِّه السر كيداً ، ويعلمنه المعلمن وقاحة ، وإنك لتعرف ذلك منهم فى لحن القول ، وفى مظاهر العمل ، وفى إدارة الكلام على أنحاء معينة ، وفى البدوات الخاصة ، وفى اللفتات العامة ، حتى لتعرفه فى أسباب معاشهم الشخصية ، ولكنهم يتناقضون ويتهافتون ، فيبتدئون من حيث انتهى سادتهم ، فسادتهم يرون أن اللعب إنما يحلو بعد الجد ، وأن القشور إنما يلتفت إليها بعد تحصيل اللباب ، وأن الكاليات تأتى بعد الضروريات ، وأن الوقت رأس مال لا يجوز تبديده فى غير نفع ، ولكن هذه الطائفة منا تفعل عكس ذلك كله وتختصر الطريق إلى اللهو ، لأنه يروى شهواتها ، وإلى الكاليات والمظاهر لأن لها بريقاً هو حظ العين وإن لم يكن للعقل منه شيء ؛ وإن عصارة رأيهم فى علاج حالة المسلمين تترجم بجملة واحدة ، هى : أن النجاة فى الفرق

هؤلاء الدارسون لعلم المسلمين منهم هم علة علل المسلمين ، وهم أنكى فيهم من المستعمرين الحقيقيين ، فلقد كان دهاء الاستعمار فى القرن الماضى يباشره الشعوب الإسلامية كفاحاً ووجهاً لوجه ، صراعاً فى الحرب ، وحكماً فى السلم ، فبارسون منها خصماً شديداً المراس ، قوى الأسر ، متين الأخلاق ، فلم ينالوا منها إلا ما تناله القوة من الضعف ، وهو محصور فى التسلط على الماديات ، أما القلوب والمقول والعقائد والاعتزاز بالقواى والخصائص فلم تستطع قوتهم أن تخضعها ، ولم يستطع سلطانهم أن يمتد إليها ، وهى عناصر المقاومة ، المدخرة ليوم المقاومة ، وإن تجدد فيما ترى وماتقرأ أمة قاومت الناصب فدحرته ولو بعد حين إلا لأن هذه العناصر بقيت فيها سليمة قوية وبقيت هى عليها محافظة ، ولكن أولئك الدهاء أتونا من جهات أخرى ، فهادنونا على دخن ، وحببوا إلينا مدنيهم من جهاتها القوية ، ثم أعشونا ببريقها ، وابتلونا بما يلائم النفوس الضعيفة الحيوانية من شهواتها ، وقالوا : إن وراء هذه المدنية علماً هو أساسها ، وإن وراء العلم ما وراءه من سعادة ؛ وفتحوا لنا شئنا أبواباً أمامية

يدخلون منها ، وأبواباً خلفية يخرجون منها إلى عالم غير عالمهم الأصلي ، وجاءت البلايا ترحف ، فتقلتها تلك الناشئة تجرى ركضاً ، ودعت الكأس الأولى إلى ما بعدها ، وأصبحنا تنافس في تقديم هذا القربان من ناشئتنا للاستعمار ، وما زدنا بسفهننا على أن جهزنا له جيشاً من أبنائنا يقتل فيه خصائصنا وروحانياتنا ، ليقاتلنا به ، وليؤليه ما عجز عنه لصعوبة مراسنا وشدة احتراسنا ، وليرجع إلى أهليه مملوء النفس باحترام أستاذه ، مصمم العزم على التمكين له ، وقد كنا لا نحترمه ولا نصادقه ولا نصافيه ولا ندمث له موضع الإقامة .

ما هو موقع الغلط في أبنائنا ؟ إنهم بتعلمهم في الغرب ، بلغة الغرب ، ولباسهم لباس الغرب ، وانتحالهم رسومه في الأكل والشرب ، ظنوا أنهم أصبحوا كالغربيين ، فانسلكوا في مظاهرهم ومخابرم عن خصائصهم الأصلية الموروثة ، نخسروها ولم يرجعوا شيئاً ، إذ لم يقع في تقديرهم أن جل الأحوال التي قلدوا فيها الأوربي هي ألوان إضافية اصطبغ بها بعد أن استكمل وسائل عزه وقوته ، فلا تحسن في العين ، ولا ترجح في الوزن إلا بمن وصل إلى درجته ، وقطع المراحل التي قطعها في الحياة ، وأنهم ظنوا غلطاً في الفهم أن هذه الحضارة غربية ، وأخطأوا فإن الحضارات ليست شرقية ولا غربية ، وإنما هي تراث إنساني متداول بين الأمم تتعاقب عليه فيزيد فيه بعضها ، وينقص منه بعضها ، ويتكرر بعضها بعض الفروع فينسب إليه ، ويلونها بعضهم بالوان ثابتة فتبقى شاهدة له حتى تضمحل .

إن جل أبنائنا الذين التقطتهم أوربا لتعلمهم عكسوا آية فرعون مع موسى ، ففرعون التقط موسى لينفمه ويتخذ له ولداً ورباه صغيراً وأحسن إليه ، فكان موسى له عدواً وحزناً وسخنة عين ، أما أبنائنا فقد التقطتهم أوربا وعلمتهم وربتهم ، فكانوا عدواً لدينهم ، وحزناً لأهله ، وسخنة عين لأهلهم وأوطانهم ، إلا قليلاً منهم دخل النار فما احترق ، وغشى اللج فأمن الفرق .

والسبب في هذا البلاء هو استعدادنا فينا كاستعداد المريض للموت ، وشعور بالنقص في أنفسنا ، لبعد عهدنا بالعمة والكرامة ، ولموت أشياء فينا تصاحب موتها في المادة يقظة أشياء ، ففقد الإحساس بالواجب تصحبه يقظة الشهوات الجسدية ،

وقوة الإحساس بالواجب هي التي أملت على بعض خلفائنا أن يمتزل النساء كلما همّ بالزواج ، وهي التي حملت كثيراً من قضاة سلفنا على أن يقيموا شهوتهم الجسدية بالحلال قبل أن يجلسوا للخصوم في مجالس الحكم ، وموت النخوة تصحبها سرعة التقليد وعادة الخضوع للغالب وسرعة التحلل والذوبان .

إن الغرب لا يعطينا إلا جزءاً مما يأخذه منا ؛ ولا يعطينا إلا ما يمود علينا بالوبال ، وقد أعتنا على أنفسنا فأصبح المهاجر منا إلى العلم يذهب بعقله الشرق فينبذه هناك كأنه عقار على رأسه لا عقل في دماغه ، ثم يأتينا يوم يأتي بعقل غربي ، ومنهم من يأتي بعقل غربي ومعه امرأة تحرسه أن يزيف . . .



مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي
النجوم : بين الغرب والشرق

روى السكولونيل لورنس أنه جلس مرة مع شيخ عربي جليل ، وأفاض في وصف ما يكشفه المرقب من عجائب الفلك . وحين انتهى التفت الشيخ إليه وقال : « أنتم أيها الأجانب ترون ملايين من النجوم ولا ترون شيئاً وراءها ، أما نحن العرب فلا نرى إلا نجوماً قليلة — ثم نرى ربنا ورب هذه النجوم ! »

أَخْلَاقُ الْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمَةِ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

قال الله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاصين والخاصات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا . . »

١ - روى الإمام أحمد في مسنده أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجال يذكرون في القرآن ، ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات . » إلى آخر الآية الكريمة ، وروى أن التي ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليست هي أم سلمة ، وإنما هي أم عمارة الأنصارية ؛ وروى أن السبب أن بعض النساء لما نزل ما يخص نساء النبي سألن عن أحكامهن . وأيًا كان سبب النزول ، فإن العبرة بما اشتملت عليه الآية الكريمة من أوصاف هي جامع أخلاق المسلمين لا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى ؛ فهي أخلاق أو أوامر مطلوبة من الرجال والنساء على سواء ، فلا يختص الرجال ببعضها ، أو يختص النساء ببعضها ، وإنما هي أخلاق المؤمن والمؤمنة على سواء ؛ لأنها تشتق في معناها ومنزاتها من حقيقة الإسلام ومعناه ومنزاه وهدايته ، وهي له ، فلا تختص بجنس دون جنس ، ولا يقوم دون قوم ، ولا يفريق من الناس دون فريق ، إنما هي أخلاق الإسلام التي تعم ، ولا تخص . وإن هذه الصفات عشر ، هي : الإسلام ، والإيمان ، والقنوت ، والصدق ، والصبر ، والخشوع ، والتصدق ، والصوم ، وحفظ الفرج من الخنا ، وذكر الله تعالى بالقلب والجوارح . والاعتبار أولاً وبالذات للقلب .

٢ - وقبل أن نخوض في بيان معاني هذه الصفات ، ومنازلها من الإيمان نذكر ملاحظتين :

الأولى : أن هذه الصفات أكثرها قلبي ليس له مظهر خارجي ، وإن كان له مظهر محسوس أحياناً فالعبرة فيه بما في القلب ؛ فالإيمان والقنوت والخشوع والصبر وذكر الله معان نفسية من خواص نفوس المؤمنين تتصل بنفوسهم ؛ والنظر فيها إلى تهذيب النفوس ، وما تتحرك به القلوب ؛ والإسلام والصدق والتصدق والصوم ؛ وحفظ الفروج هي أمور مع اتصالها بالنفس والقلب لها مظاهر حسية سلبية أو إيجابية ؛ وعلى ذلك يكون بعضها نفسياً خالصاً ، وبعضها نفسى له مظهر عملي . ويلاحظ القارئ للقرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى ذكر بجوار كل صفة نفسية مظهرها الحسى ؛ فالإيمان عمل قلبي مظهره الإذعان الحسى بالإسلام وإعلانه ، والقنوت طاعة قلبية وخضوع نفسى ومظهره صدق الأعمال وصدق الأقوال مع صدق النفس ، والصبر والخشوع وصفان نفسيان من مظاهرها التصدق والصوم ؛ وذكر الله تعالى عمل قلبي من مظاهره حفظ الفروج واجتناب الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

الملاحظة الثانية : أن هذه الصفات متدرجة ، وهي مراتب ، بحيث تكون كل صفة منها مرتبة قائمة بذاتها ، هي معناها درجة لما قبلها ، فالإذعان الحسى أدنى المراتب وهو الإسلام ، وأعلى منه المرتبة التي تليه ، وهي مرتبة الإيمان ، ثم المرتبة الثالثة ، وهي القنوت بإجابة أوامر الله تعالى وإطاعته ، ثم المرتبة الرابعة ، وهي الصدق في القول والمعمل بأن يكون الرجل مهدياً في قوله وفعله ... وهكذا .

٣ - وقد يقول قائل لماذا ذكر الصوم والصدقة ، ولم يذكر الصلاة والحج مع أنهما من أجل أعمال الإيمان ؟ والجواب عن ذلك : أن هذه العبادات العالية أفعال عملية وليست صفات ولا أخلاقاً ، وإن كانت تهذب النفوس ، وتدفع إلى التقوى ، ولا تكون الصفات السامية إلا إذا قام الشخص بها ، فلا يكون خشوع أو قنوت من غير صلاة ؛ ولذا قال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » وإنما ذكر الصوم مع أنه عملي أيضاً ، لأنه باب من أبواب الصبر ، ولأنه ليس عملاً إيجابياً إنما هو عمل سلبي ، إذ هو إمساك عن الطعام والشراب .

وفوق ذلك فإن الحج والصلاة قد ذكرا في قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » لأن الصلاة والحج هما ذكر الله تعالى ، ولهذا قال سبحانه في الأمر

بالصلاة : « ائله ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » فاقترن بالصلاة تلاوة القرآن ، وذكر الله ؛ فالتلاوة والذكر هما معناها ، والذكر لها ومفزاها ، وبه تنهى عن الفحشاء والمنكر .

٤ — هذه إشارات بيانية نذكرها ، قبل أن نخوض فى معانى هذه المراتب التى يترتب بعضها على بعض والتى تعتبر كل واحدة منها سلماً للتى تليها .

وأول هذه المراتب هى الإسلام ولذلك ابتداءً سبحانه وتعالى به فقال : « إن المسلمين والمسلمات » والإسلام فى معناه يتلاقى مع الاستسلام لله ، والاستسلام لله فيه هو الإخلاص لله تعالى والاتجاه إليه والانقياد له ، والاستعداد التام لطاعته تعالى فى كل ما يأمر ، وقبول الحق الذى يدعو إليه سبحانه ؛ ومن ذلك قوله تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام : « إذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين » وقوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » وقوله تعالى « توفنى مسلماً ، وألحقنى بالصالحين » .

وعلى هذا المعنى يكون معنى الإسلام فى قوله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات » الإخلاص : أى طلب الحق فى إخلاص واستعداد للانقياد والطاعة ، وذلك لأن الإنسان فى طلبه للحق ، واتجاهه إليه ، قد يخلص من كل أدران الهوى ووساوس الشيطان ، ويستمد للخضوع الكامل له ، فيطلبه لوجه الله تعالى لا لشيء سواه ، فيقال فى هذه الحال إنه أسلم وجهه لله وللحق ، وقد يطلبه على هواه وغرضه ، وهذا لا يصل إليه ؛ لأن نفسه غير خاضعة للحق لذات الحق ، فإن كان الدليل على عكس ما يريد الشخص كفر وعاند ؛ وغالط الحس ، وكان ممن ينطبق عليه قول الله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » .

فمعنى « إن المسلمين والمسلمات » أى المخلصين فى طلب الحق والمنقادين له ، والذين يخضعون أهواءهم لمقولهم ولأوامر ربهم لهم الجزاء الذى أعده سبحانه .

٥ — وإن الإخلاص يحمل النفس تشرق بنور ربها فتتجه إلى الحق وتدعن له وتؤمن به ؛ ولذا قرن سبحانه وصف الإسلام وهو الإخلاص كما بينا ، بوصف الإيمان وهو المرتبة الثانية ؛ فإن من أخلص فى طلب الحق أدركه وآمن به وصدقته ، وأذعن بقلبه ولسانه وكل جوارحه لله سبحانه وتعالى ؛ وقد قال تعالى : « والمؤمنين

والمؤمنات « فالإيمان هنا هو التصديق بانقلب ، وإخضاع كل الأفعال والأقوال لما يوجبه هذا الإيمان ؛ ولذلك لا يكون الإيمان الكامل معه معصية ، لأن الإيمان الكامل يتقاضى المؤمن أن تخضع كل أحاسيس نفسه له ؛ وما من معصية يمسها الشخص إلا في غفلة عن الإيمان ، ولذا ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قبل من يارسل الله ؟ قال ذلك الذي لا يأمن جاره بوائقه » ولقد روى في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

٦ - وعلى ذلك يكون الإيمان الصادق أساساً للأعمال الصالحة ، بل إنه لا يترتب عليه إلا صالح ، ولذلك يكون من آثار الإيمان الخضوع المطلق والطاعة المطلقة لأمر الله تعالى ، فيكون الإنسان بقلبه وجوارحه وأعماله مطيعاً لرب العالمين ، وذلك هو القنوت ؛ ولذلك قال تعالى في أوصافهم بعد ذلك « والقانتين والقانتات » والقنوت في معناه اللغوي هو لزوم الطاعة والخضوع الكامل ، وهذا بلا شك مرتبة ثالثة بعد الإيمان ، والإيمان هو السلم للوصول إليها ، بل إن القنوت الذي يكون بلزوم الطاعة الكاملة ، والخضوع التام هو الصورة الحقيقية للإيمان الكامل ؛ ولذلك وُصف به النبيون فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً » وقد قال تعالى : « قوموا لله قانتين » .

٧ - هذه هي المرتبة الثالثة ، ومن ارتقاها سار في طريق المرتبة الرابعة ، وهي الصدق ، وهذه هي التي بينها سبحانه وتعالى بقوله : « والصادقين والصادقات » والصدق هو الصفة التي إذا استغرقت النفس واستولت عليها صار كل ما يظهر منها من قول أو فعل هو إعلان لحقيقتها ، وما انطوت عليه ، فصدق النفس المؤمنة لا يوجب فقط أن تكون الأقوال صادقة في نقل الأخبار ، بل يوجب أن يظهر ما كن في النفس من قوة الإيمان ظاهراً واضحاً للعيان في الأقوال والأفعال ؛ فالصادق هو من كانت نفسه التقية المؤمنة مكشوفة بينة في كل مظاهر الحياة ؛ ولذا كان الصدق في حقيقته والنفاق تقيضين لا يجتمعان ؛ وكان الكذب من علامات النفاق كما قال عليه السلام « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » وكل هذه الأوصاف لا توجد مع الصدق قط ؛ ولقد قال عليه

السلام: « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهـدى إلى البر ، وإن البر يهـدى إلى الجنة ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهـدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهـدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » ولقد قال الراغب الأصفهاني في كتابه « الدررمة إلى مكارم الشريعة » : « الصدق التام هو مطابقة القول للضمير والمخبر عنه مما » فالصدق أن تكون حقيقة النفس المؤمنة بادية للعيان وألا يتحرك اللسان إلا بقول الحق الذي يمتنعه ، وإن الصدق الحقيقي فوق أنه مظهر النفس المؤمنة هو رياضة لها ، ولذلك كان استمرار الصدق وتحريه طريقاً لأن يكون الرجل صديقاً ، ولقد قال العلماء إن الصديق هو المرتبة من الناس التي نلى مرتبة النبيين ، ولقد اعتبر الرسول الصدق خلة الإيمان خاصة ، واعتبره طريق الهداية ، فقد روى أنه سئل أ يكون المؤمن جباناً فقال قد يكون ، وأ يكون المؤمن بخيلاً قال قد يكون ، وسئل أ يكون المؤمن كذاباً فقال الصدوق الأمين لا يكون المؤمن كذاباً . ولقد جاء رجل يشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم كبير وزره ، وأنه يرتكب كل المؤبقات ، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يهـديه لطريق يمالج بها ، فأشار عليه السلام بالعلاج وهو الصدق وترك الكذب ، فوعد الرسول بذلك فكان إذا همت نفسه بمنكر تذكر وعده للنبي صلى الله عليه وسلم بالصدق ، فيمتنع ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد يسأله فإن كذب فقد أخلف وعده ، وإن صدق أقيم عليه الحد ، وما زالت تلك حاله كلما هم بمصيبة حتى حسنت توبته ، وأقلع عن ذنبه .

٨ — وإن المؤمن إذا قنت لربه ، وصدق في نفسه وقوله وفعله واعتاد ذلك وتحراه صار في طريق الوصول إلى مرتبة الصديقين ، وصار أهلاً لأن يدافع عن الإيمان بقوله وفعله ، وتهيات له المدة للدفاع عن الإيمان وأهله ، وتلك المدة هي الصبر ؛ ولذا ذكر سبحانه وتعالى بعد مرتبة الصدق مرتبة الصبر الذي هو عدة الجهاد ، وقوة الجلال ، فقال تعالى : « والصابرين والصابرات » فالؤمن يقوى إيمانه في ذاته ، فإذا بلغ قوته في القلب وبدا في الجوارح والأفعال وصل إلى مرتبة النزال في الدفاع عنه ، وذلك بالصبر . والصبر له نواح عدة ؛ فالاستيلاء على الأهواء والشهوات هو الصبر في أقوى معانيه ، والجهاد فيه حماية للإيمان في القلب ، واحتمال الفقر والمرض من غير

تمل ولا تضجر هو من الصبر الجليل ، وهو حماية للنفس المؤمنة من التردى فى مهاوى الحقد والحسد ؛ وهما يقوضان بنيان الإيمان ، ويأتيانه من قواعده ، وتلقى الكوارث والمصائب بحنان رابط ، وقلب مفوض لله العلى القدير هو من الصبر ، وهو ضد الجزع والملمع ، وهما يفقدان المرء الثقة فى الله ؛ ومن فقد الثقة فى الله فقد تهدم فى نفسه أعظم جزء من أجزاء الإيمان ، والتقدم للقاء أعداء المؤمنين والدفاع عن بيضة الإيمان هو من الصبر وهو الشجاعة . وإن وصف الصبر فى هذه الآية مطلق عام ، وفى آيات أخرى أشار سبحانه وتعالى إلى بعض أنواعه فقال تعالى فى أوصاف المؤمنين : « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » وإن الصبر تبدو قوته عند مهاجمة أعداء الإيمان على النفس من أهواء وشهوات ، أو كوارث ونوازل أو فقر ومرض أو عدو مهاجم متربص ؛ ولذا قال عليه السلام : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

٩ — هذه هى المرتبة الخامسة من مراتب الإيمان ، أو المقام الخامس من منازلها ، وإنها مع ما سبقها من منازل تؤدي إلى منزلة أعلى منها ، وهى منزلة الالتجاء إلى الله تعالى فى كل ما يعمل الإنسان من أعمال ، وما ينطق من أقوال ، وما تتحرك به الجوارح ، بل ما يجيش به النفس من خواطر ، ولذلك قال تعالى : « والخاشعين والخاشعات » فالخشوع هو الضراعة إلى الله تعالى ، وإنه عمل قلبى له مظهر حسى ، فيحس القلب بقدرته الله القادر فليجأ إليه ، ويظهر ذلك فى كل أعمال الإنسان فيخشع ؛ ولذلك روى فى بعض الآثار « إذا ضرع القلب خشعت الجوارح » ومقام الخشوع هو مقام الخوف من الله ، والإحساس برقابته سبحانه وتعالى وأنه يراه فى كل ما يقول ويعمل ؛ إذ يعلم ما ظهر وما بطن ، وما تخفى الصدور ، وما يجيش فى الأفئدة ، وإن ذلك أعلى مقامات العبودية ؛ ولذلك ورد فى الحديث الصحيح « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

١٠ — هذه منازل نفسية ترتقى إليها متجردة نفس المؤمن تهتدى فيها ، وتصعد من أولاهها إلى أعلاها ، وبلى ذلك مرتبة هى مرتبة المؤمن ينفع الناس ، يرد غائلة الجوع عنهم ويكسو عاريهم ويتعاون معهم على الخير ، فليس الإسلام دين التجرد من الدنيا ، بل هو دين التعاون على الخير فى الدنيا ، ونشر البر

والسلام فيها ؛ فإصلاح النفوس المقصد منه إصلاح المجتمع ، وتطهيرها المقصود منه تطهيره ، ولذلك قال سبحانه في المرتبة السابعة « والتصدقين والتصدقات » فمرتبة التصدق ، وهى مرتبة النفع العام يقصد إليه المؤمن هى مرتبة قدسية ، تهمد لها المراتب السابقة ، فالمقصود بالتصدق ليس هو الزكاة فقط ، ولا المقصود منها هو العطاء بالمال فقط ، بل المقصود منها التعاون التام بين المؤمنين ؛ فالكلمة الطيبة فيها صدقة ، والبذرة تلقى فى الأرض فتنبت نباتا صدقة ، ولذا قال عليه السلام : « ما من مسلم يزرع زرعاً أو يفرس غرساً فيأكل منه إنسان أو دابة إلا كتب له به صدقة » - والتأليف بين المتنافرين صدقة ، وإعانة من يكون فى حاجة إلى أى عون صدقة ، ولذا قال عليه السلام : « الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » وفى لين الجانب وخفض الجناح والرفق فى المعاملة صدقة ، ولذا قال عليه السلام : « المؤمن مألوف ، ولا خير فىمن لا يألف ولا يؤلف » وهكذا فليست الصدقة مقصورة على الزكاة أو صدقة الفطر ، إنما هى معنى عام يشمل كل نفع عام يقصد به وجه الله تعالى ، وإن كل صدقة تكفر من السيئات بقدرها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « الصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » وإن جماع التعاون والنفع العام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما الرباط المقدس الذى يربط بين المسلمين .

١١ - وإن هذه المراتب كلها تتجه بالإنسان إلى السمو الروحى ، وترفع ابن الأرض من الأرض إلى السماء ، ولذلك ذكر سبحانه بعد ذلك المرتبة الروحية العالية ، وهى مرتبة الصوم ، فقال تعالى : « والصائمون والصائمات » فهذا الوصف رمز للتجرد الروحى الذى يتجه إليه الموقن ، وذلك لأن الصوم تجرد روحى ، إذ أن الشهوات المتحكمة ، وهى شهوة البطن والفرج إذا سيطرت على الإنسان كان الإنسان متهوياً إلى الطبيعة الحيوانية فإذا تجرد المرء من هذه الشهوات ، فقد علا عن درجة الحيوان إلى درجة الملك ، وذلك بالصوم ؛ فالإنسان فيه عنصران : عنصر حيوانى يشترك فيه مع الحيوان ، فإن غلب ذلك العنصر كان أقل من البهائم ، والعنصر الثانى عنصر روحى ملكى ، وإن غلب ذلك العنصر كان أعلى من الملك ؛ لأنه وصل إليه بالمغالبة ومنازعة الأهواء والسيطرة عليها وذلك جهاد ؛ وإن الصوم فيه ذلك النزوع الروحى السامى وهو إن أدنى على وجهه ، وأعطى حقه كاملاً تهذبت النفس وممت الروح ،

وابتعد الإنسان عن المعاصي ، ولذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع » .

ولأن الصوم مهذب للروح فرض رمضان ، وقد حث عليه السلام على الصوم التطوع ، فعلى كل امرئ أن يلاحظ نفسه فإن لاحظ فيها تسلط الشهوات عليها وتحكمها فيها ، فليعلم أنه بلغ أقصى هبوط الأرضية ، ولا يعلو إلى الروحية إلا بأجنحة تخلق به من الصوم .

ولقد ذكر عليه السلام أن أفضل التطوع أن يصوم يوما ويفطر يوما ، ولقد كان عليه السلام كثير الصوم ، ولكن لم يعرف أنه صام شهرا كاملا إلا رمضان ، وكان عليه السلام إذا لم يجد طعاما في بيته ، ولم يكن قد تناول شيئا أتم صيام يومه ، وهكذا كان عليه السلام يعلمنا طريق العروج بنفوسنا ، ولم يحرم الصوم في أيام إلا أيام العيدين الفطر والأضحى وأيام التشريق .

١٢ - هذه المراتب علت بالروح الإنسانية واتجهت بها إلى الملكوت الأعلى ، ولكن مع ملاحظة اجتناب النهيات اجتنابا مطلقا ، ولذلك ذكر مع هذه المرتبة صفة ملازمة لكل المراتب ضرورية لها ، وهي اجتناب النهيات فقال سبحانه رامزا إلى ذلك المعنى : « والحافظين فروجهم والحافظات » فهذا يرمز إلى الامتناع عن النهيات كلها ، وهو فوق ذلك يبين مرتبة أخرى لا تقل علوا عن المرتبة الروحية ؛ وهي المحافظة على النسل والإبقاء على النوع ، وذلك بالمحافظة على وعائه والمحافظة على مائه ، فلا يكون الوعاء غير صالح للإبقاء ولا يذهب الماء هدرا ، ولذلك عد الزواج من القربات ، وهو الذي تكون به المحافظة على الفروج ، فليس من النسك والزهادة الروحية الانصراف عن الزواج ، وإن التفاضل بالعبادة لا يكون بتركه ، بل بالإقبال عليه ، ولقد قال بعض الزهاد في أحمد بن حنبل إنه يفضل في الزهد ؛ لأن له امرأة وأولاداً ، ولقد قال عليه السلام لمكاف بن وداعة الهلالي « إن من سنتنا النكاح ، ومن رغب عن سنتنا فليس منا ، شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ، ويحك بأعكاف تزوج »

وعلى هذا التخريج نكون المحافظة على الفروج بالزواج طلبا للنسل ، وهذه مرتبة عالية مع السمو الروحي ، ولا تقل عنها ، لأن تربية الأولاد فيها رياضة للنفس وتهذيب ، وإيثار وجهاد .

١٣ - وهناك مع هذه المراتب حال يجب البقاء عليها واستمرارها ، وهى ذكر الله تعالى : أى تذكره دائماً فى القلب ، واستحضاره بأسمائه الحسنى عند الإقدام على كل عمل ، فإن ذلك هو مخ العبادة ولب الدين ، ولذلك قال سبحانه فى ختام هذه الأحوال ، وتلك المراتب : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » فذكر الله تعالى أكبر العبادات ، وهو الذى يكون الأساس فى خير الأعمال ؛ فلا فضل ولا خير فى عمل إلا إذا كان معه ذكر الله تعالى ، والقصد إلى مرضاته ، فقد روى الإمام أحمد أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكراً ، قال فأى الصائمين أكثر أجراً ، قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكراً ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج ، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكراً . فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنه ذهب الذاكرون بكل خير . فقال عليه السلام « أجل » وقد روى الإمام أحمد عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ذكر الله عز وجل » .

وليس ذكر الله هو ذلك التمايل ذات اليمين والشمال ، أو الصياح من غير استحضار لأسمائه الحسنى سبحانه ؛ إنما ذكر الله أن يستحضره القلب ، ويكون فيه دائماً ، وأن يترطب اللسان به إن كان يحتاج إليه ليم استحضاره فى القلب ، وإن ذكر الله فيه العزة ، وفيه الغزاء وفيه الاطمئنان « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وإن أصحاب هذه المراتب لهم الحسنى فى الدنيا ، ولهم الجزاء الأوفى فى الآخرة ؛ ولذا قال تعالى : « أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً » . والله سبحانه وتعالى هو المجازى ، ولولا فضل الله ما اهتدينا ، الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

بين النصيحة والتشهير

للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي

المراقب العام للاخوان المسلمين في سوريا

ليس منا من لا يخطئ ، ولا ينحرف عن سنن الحق ، بل إن فينا من الفرائر والطباع ما يميل بنا إلى الرشد والنقي ، والخير والشر ، وليس كل إنسان يعرف خطأه أو يهتدى إليه ، وبذلك كان من حق الأخ على أخيه ، أن يبصره بعينه ، وينصح له في أمره ، وكما يجب على من رأى الظلم في حاكم ومستول ، أن ينكر عليه ظلمه وبغيه ، وجب على من رأى صديقاً له يظلم نفسه أو يظلم غيره أن يحول بينه وبين ذلك ، إبقاء على حق الأخوة ، ودفعاً للأذى عن صديقه وعن المجتمع . . . ويوم يتساهل الناس في هذا الحق ، فيتملق الصديق صديقه ، ويهمل الأخ حق أخيه عليه في النصيحة والإرشاد ، تسوء علائق بعضهم ببعض . . . وتقلب الصداقة إلى عداوة ، ويصبح أمر المجتمع فوضى ، يموج بالشر والاثم . . . ولقد أخبر القرآن الكريم أن بني إسرائيل استحقوا اللعنة والحرمان والتشريد ، لأنهم كانوا لا يتناصحون « لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلِهِمْ » ولما نزل قوله تعالى : « وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً » قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا رأوا المنكر فلم ينكروه » .

وليس أدل على رقي الأمة واستقامة ضمائرها من تمسكها بخلق التناصح فيما بينها : ينصح الأخ لأخيه ، والجار لجاره ، والأب لولده ، والأستاذ لتلميذه ، والموظف لرئيسه ، والمستول لأمنه . . . فلا ترى حينئذ إلا حقاً محترماً ، وفضيلة يعمل بها ، وثقة تربط بين الناس بعضهم مع بعض ، فلا خيانة ولا غش ولا اتهام ولا تجريح . وإذا خلا المجتمع من هذا الخلق ، أو ضعف مظهر العمل به ، فقد انتهت الأمة إلى أسوأ حالاتها من الفوضى والفساد والتقاطع والمدوان . . .

وقد اضطربت عند كثير من الناس حدود النصيحة التي يجب القيام بها ،

فانقلب أحدهم من النصيح إلى التشهير ، كما انقلب آخرون من المداراة إلى التملق ، وفي ذلك ما فيه من شريرو على الخير ، وحق يستعمل في باطل . .

حين لا تجدى النصيحة أو ينشأ منها ما هو أكبر ضرراً وأكثر سوءاً ، يتحتم عليك أن تدارى من تنصحه ، حتى يستقيم حاله ، وتوأتى الظروف الصالحة لنصحه ووعظه . . وهذا هو حد المداراة . . أما أن تنقلب إلى مشجع على الشر ، متظاهر لمن يعمل بالتأييد ، فهذا هو التملق الذى يمتقه الخلق الكريم ، وتآباه آداب الشريعة وأخلاقها . . هنالك فرق بين أن تأتى لحاكم طاع مستخف بإرادة الأمة وكرامتها ، فتزين له طغيانه ، وتغريه بالاستمرار فى عتوه وفجوره . . وبين أن تسكت عنه وهو فى غفوان قوته ، وأنت يائس من صلاحه ، عسى أن تواتيك الفرصة فيما بعد لتجهر له بالنصيحة ، وتدله على طريق الخير . . ذلك تملق وهذه مداراة . . والتملق خسة وجبن ، والمداراة تعقل وحكمة . .

والنصيحة على مراتب : أولها أن لا تبادر إلى تصديق ما يقال عن جارك أو صديقك أو أحد ما من الناس ، بل تثبت فى ذلك حتى تستيقنه ، فإن الناس اعتادوا إشاعة السوء ، والجهالير دائماً أسرع إلى إساءة الظن من إحسانه . . فلا تصدق كل ما يقال ولو سمعته من ألف فم ، حتى تسمعه ممن شاهده بعينه ، ولا تصدق من شاهد الأمر بعينه ، حتى تتأكد من براءته وخلوه من الفرض والهوى . . ولذلك نهانا الله عن الظن ، واعتبره إنما لا يبنى من الحق شيئاً « يأبى الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » . . « إن الظن لا يبنى من الحق شيئاً » .

وإذا رأيت أمراً أو بلغك عن صديقك كلام يحتمل وجهين ، فاحمله محملاً حسناً ، وأنزله منزلة الخير ، فذلك ألصق بالأخوة ، وأجدر بمكارم الأخلاق ، قالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان أجود قریش فى زمانه : ما رأيت قوماً أألم من إخوانك ! قال لها : مه ! ولم ذلك ؟ قالت : أراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك ، فقال لها : هذا والله من كرم أخلاقهم ، يأتوننا فى حال قدرتنا على إكرامهم ، ويتركوننا فى حال عجزنا عن القيام بحقوقهم . . فانظر كيف تأول طلحة سنيع إخوانه معه ، وهو ظاهر القبح والفدر ، بأن اعتبره وفاء وكرماً . .

وثانى خطوات النصيحة .. أن تقدر طباع الناس وغرائزهم ، وأنهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء ، فلا تطمع أن لا تمر على زلة أو هفوة لأحد من إخوانك ، ولكن احمل ذلك على الضمف الإنسانى الذى لا يكاد يخلو منه أحد ، وعلى الغرائز التى لا تنتجو من سلطانها إلا الأقولن .. وانظر أنت فى نفسك ، ألا تقع فى مثل تلك الزلات ؟ فلماذا تريد من الناس مالا تجده من نفسك ؟ ولعمري ما أجمل قول شاعرنا العربى :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاييه

بل ما أروع قول الله تبارك وتعالى فى وصف النفس الإنسانية على حقيقتها حين يقول على لسان امرأة العزيز : « وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي » .

فإذا ذكرت ذلك ، كنت إزاء خطأ من صاحبك تذكره بالصواب فيه ، لا إزاء عيب زدرية من أجله وتنقصه بسببه ..

قال الشافعى رحمه الله : « ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ، ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه ، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل » .

هذا والله هو الفقه والملم والحكمة ، التى لا يقف عليها إلا أطباء النفوس .. وأكمل الناس وأورعهم وأقوام ديننا وأكثرهم لله خشية ليس هو الذى يزدري المعصاة ، ويحتقر المذنبين ، ويرى لنفسه ميزة عليهم بتقواه وعبادته .. وإنما هو من يرحم الناس ، ويشفق على الخاطئين ، ويمذرهم فى نفسه ، ويتقدم إليهم بالنصح كطبيب يعالج مريضاً ، وهل رأيت طبيباً يحتقر مريضاً أو يزدريه أو يترفع عليه ؟ ! .

وصلى الله على معلم الناس الخير حين قال : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »

وثالث خطوات النصيحة .. أن لا تحاكم الأمر الذى تريد إنكاره وتحكم عليه بالخطأ والانحراف ، من وجهة نظرك فحسب ، بل انظر إليه من وجهة نظر صاحبه أيضاً ، فقد يكون مجتهداً فيما اعتقد من رأى ، متحريراً للخير فيما سلك من سبيل ، فلا تسارع إلى الإنكار عليه ، مادام من الممكن أن يكون له وجه من الحق ، ودليل

من رأى .. ومن قبيل هذا ما يقوله الفقهاء ، من أن العمل أو الرأي ، إذا كان له تسعة وتسعون وجهاً تقتضى التكفير ، ووجه واحد لا يقتضى التكفير ، نأخذ بهذا الوجه الواحد ، ونمتنع عن تكفير صاحبه . ومن هنا قرر العلماء أن من شروط النهى عن المنكر ، أن لا يكون محل اجتهاد وخلاف بين العلماء ، أو أن يكون منكراً في نظر من يفعله .. فإن لم يتحقق فيه هذا الشرط ، لم يجز الإنكار ، وما ذلك إلا لأن إنساناً ليس من حقه أن يسيطر على عقيدة إنسان أو رأيه ، أو يزعم أن رأيه أصوب الآراء ، واجتهاده هو الحق الذى لا باطل معه .

ورابع خطوات النصيحة .. أنك إذا تأكدت من الخطأ والانحراف ، وليس هناك مجال لعذر ، أو شبهة ، وجب أن تتقدم بالنصيحة إلى من تنصحه ، سرّاً بينك وبينه ، لا أمام الناس ، ولا على ملأ من الأشهداء ، فإن النفس الإنسانية ، لا تقبل أن يطلع أحد على عيبها . إنك إذا نصحت أخاك سرّاً بينك وبينه ، كان أرجى للقبول وأدل على الإخلاص ، وأبعد عن الشبهة . وأما إذا نصحت علناً فإن في ذلك شبهة الحقد والتشهير وإظهار الفضل والعلم ، وهذه حجب تمنع من استماع النصيحة والاستفادة منها .. ولقد كان من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في إنكار المنكر أنه إذا بلغه عن جماعة ، ما ينكر فعله ، لم يذكر أسماءهم علناً ، وإنما كان يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا » فيفهم من يعنيه الأمر أنه هو المراد بهذه النصيحة .. وهذا من أرفع أساليب النصيح والتربية يدلنا عليها المربي الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم ..

قال رجل لملى رضى الله عنه أمام جمهور الناس .. يا أمير المؤمنين : إنك أخطأت في كذا وكذا ، وأنصحك بكذا وكذا .. فقال له على : إذا نصحتني فأنصحني بيني وبينك ، فإنى لا آمن عليك ولا على نفسى ، حين تنصحني علناً بين الناس .

وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيبك ؟ فقال : « إن نصحتني فيما بيني وبينه فنعم ، وإن قرعني بين الملأ فلا » وهذا حق ، فإن النصيح في السر حب وشفقة ، والنصح في العلن انتقاص وفضيحة .. وهذا هو قول الشافعى رحمه الله : « من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه » .

خطب المنصور مرة يذكر الناس بطاعة الله ومجانبة معاصيه، فقام إليه رجل فقال : أنت يا أمير المؤمنين أولى بأن تذكر بطاعة الله واجتناب معاصيه ، فائق الله وحاذر غضبه . . فقال المنصور : والله ما أردت بهذه النصيحة وجه الله ، ولكن أردت أن يقال بين الناس : قام إلى أمير المؤمنين فنصحه . . فهذا من المنصور تنبه لخفايا النفس وشهواتها ، وأن الورع والزهد والنصيحة والجرأة في الحق . . قد يكون شهوة من شهوات النفس كما تشتهى النفس طيب الطعام وجيد اللباس . .

أما الذين يشهرون بعيوب الناس ، ويهتسكون حرمانهم في المجالس ، بحجة النصح والجهر بالحق ، فذلك جهل بدين الله شأن . . وتلك هي الغيبة التي نهانا عنها الله ورسوله . . وليست النصيحة إلا أن تذكر أخاك إذا أخطأ ، وتنصحه إذا انحرف ، وليست الغيبة إلا أن تذكره بما يكره وهو عنك غائب . .

نعم إذا نصحت إنساناً مرة بعد مرة ، واستمر في إثمه ونحازه ، وكان ممن يؤتم به أو يستمع لقوله ، جاز لك أن تذكر للناس ما هو عليه للتحذير من اتباعه . لا للتشهير به شخصياً ، فإن التشهير لا يجوز في حالة ما ، مهما كان الباعث على ذلك . إن لك أن تنكر الفعل ، لا أن تشهر بالفاعل . . وقد علمنا الله ذلك حين قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : « فإن عصوك فقل إني برىء مما تعملون . . » أمره أن يتبرأ من عملهم لا منهم أنفسهم ، وليس هو إلا لكره التشهير بالناس ، تشهيراً يؤدي إلى المداوة والبغضاء ، ويزيد في الفرقة والشحناء . .

وخامس خطوات النصيحة . . أن لا تؤدي النصيحة إلى شر أكبر مما تريد إنكاره ، كإيقاع الفتنة ، وإيقار الصدور ، وازدياد المعصية ، وتفرقة كلمة الجماعة ، فإن هذه أمور يلحق شرها الكبير والصغير ، والصالح والطالح . . ولا يجوز لإنكار عمل فردى أن تقع في منكر يعم ضرره الجماعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لبنت الكعبة على قواعد إسماعيل ، ولجعلت لها بايين ، باباً يدخل منه الناس ، وباباً منه يخرجون » فهذا امتناع عن إصلاح في وضع البيت ، خشية أن يؤدي إلى فتنة الناس في دينهم . . وهذا هو الفقه في دين الله ، أن لا تزيل الشر بما هو شر منه ، وأن لا تدفع الضرر الأدنى بالأعلى ، وأن درء المفسد مقدم على جلب المصالح .

فإذا استوت لك هذه الخطوات ، ورأيت النصيحة واجبة ، كان عليك أن تؤديها برفق وحكمة وأسلوب لا ينفر من نصيحه ، ولا تبدو به أنك متعال عليه ، معلم له ، وإلى هذه الآداب أرشدنا الله بقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ولقد قالوا في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ما كان يواجه أحداً بشيء يكرهه . ذلك أن النصيحة إذا خرجت عن الرفق واللين ، كانت غلظة وقسوة تنفر القلوب ولا تفتحها ، وتبعد الناس عن الخير ولا تقربهم إليه . .

* * *

أما بعد ، فهذا حديث النصيحة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى آدابها وشروطها ، بعد أن اشتجرت العداوات ، وكثرت الخصومات ، وساءت التهم ، وأفرطت الأقلام والألسنة في النقد بحق وبغير حق ، فهل لنا أن نطمع من الناقدين أن يقفوا عند حدود الحق فيما ينقدون ؟ وهل لنا أن نرجو الناصحين أن يبتعدوا عن مجال الشبهة فيما ينصحون ؟ إن من السهل أن تقول لإنسان أخطأت . . ولكن من الصعب أن تقول له : إنك خفت وأجرت وسرقت وخربت . لقد مرت بنا فترات كانت فيها أعصاب الشباب تدفعنا إلى اتهام خصومنا في الرأي بمثل هذا ، فاللهم نشهدك أنا رأينا بأعيننا خطأ ما فعلنا ، ولسنا بأيدينا نتيجة ما أفرطنا . . واللهم ألهم حملة الأقلام وكتاب الصحف وخطباء المنابر أن يقولوا ما يصلح الفساد ، ويقوم الانحراف ، لا ما يزيد الصفوف فرقة والقلوب عدا .

—
—

لو انفض الناس جميعاً من حولى واهتزت شعرة منى فقد كفرت بالله .

« الشعرائى »

من القرآن . . أسس الحياة القوية المجيدة :

الانحراف عن العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٤)

في الثقافة والتعليم

نريد بالعقيدة في هذه الكلمات ، كما قلنا من قبل ، العقيدة باعتبارها معتقدا نفسيا تطمئن إليه النفس ويمتلئ به القلب ؛ أى سواء أكانت عقيدة دينية مصدرها الوحي ، أم عقيدة سياسية أو اجتماعية . وسواء في ذلك عقيدة الفرد ، أو عقيدة الجماعة من الناس ، أو عقيدة هيئة من الهيئات الرسمية أو غير الرسمية التي تلى أمراً من أمور الأمة .

وثقة الأمة بنفسها وماضيها وحاضرها ، عقيدة من المقائد التي لا تقوم الأمة إلا إذا آمنت بها إيماناً لا يخالطه شك أو ريب ، فإن البناء في الحاضر والمستقبل لا يمكن أن يقوم ويقوى إلا على أسس قوية ذاهبة في الأعماق وثابتة الدعائم والأركان . فإذا فقدت الأمة من الأمم هذه الثقة بماضيها وقوميتها ومقوماتها ، أو تزلزلت فيها هذه الثقة ، فقد آذنت بضعف لا قوام لها معه ؛ ومن ثم يكون بدء التأخر والتبعية لغيرها من الأمم في أكثر شئونها ، ثم الرضى بهذه التبعية الخطرة المهينة .

نقول هذا بمناسبة ما نحسه جميعاً من أعراض هذا المرض الذي نخشى أن يراه البعض عضالاً ، وما نلسه من فقدان الثقة بنا — باعتبارها جنساً وأمة — بماضيها ، واعتزازنا بكل ما نعرفه عن أمم الغرب الناهضة القوية اليوم ، بعد ما كانت كما نعرف بالأمس في عهد العرب الزاهر المجيد .

إن شباب الأمة في المدارس الثانوية ، بل في الجامعات ، لا تكاد كثرتهم الكثرة تعرف شيئاً ذا غناء عن الإسلام ومجده ، وما كان للمسلمين من أثر لا يقادر قدره في إقامة صروح العلم والحضارة التي قامت عليها حضارة الغرب في العصر الوسيط وعصر النهضة ؛ وكان من ذلك أن أصبحت هذه الكثرة الكاثرة لا تعتقد أن العرب والمسلمين كانوا شيئاً في التاريخ ، أو يستطيعون أن يكونوا يوماً من الأيام من قادة العالم وموجهيه إلى حياة العز والمجد والكرامة .

ونظن أن هذا الذي نقول لا يحتاج إلى دليل ، فهو واقع ملموس يلقانا من هنا ومن هناك ، ومع هذا فلنذكر دليلاً واحداً نعتبره حاسماً في الموضوع ؛ وهو دليل يدل على مقدار عدم اكترائنا أحياناً كثيرة بما يجيء من الواحد منا معشر العرب والمسلمين ، وعلى مقدار احتفالتنا بما يجيئنا في الموضوع نفسه أو المسألة نفسها عن الغربيين .

والأمر أنه جرى منذ أسابيع حديث طويل ، بيني وبين أحد إخواننا وزملائنا المحترمين بكلية الحقوق ، عن مدى فضل أوربة في كثير من النواحي العلمية وبخاصة في علم « القانون الدولي العام » ، ولم أستطع إقناعه بما كان لفقهائ المسلمين وعلمائهم في هذه الناحية ، وذلك رغم ما سقته من أدلة واضحة وشواهد ثابتة تربنا اهتمام فقهاء المسلمين بالقانون الدولي ، وأنه على الأقل كانت لديهم فكرة واضحة عن هذا العلم ، وأن هذه الفكرة دعته لتقرير كثير من القواعد التي تقوم عليها العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الأمم والدول الأخرى .

ثم افترقنا أخيراً عن غير اقتناع من جانب زميلي المحترم . ولكن ، شاء الله أن يجيء الدليل لما كنت أقول من جانب بعض علماء القانون الدولي من الأوربيين ، فكان هذا الدليل قاطعاً وحاسماً في رأيه ! ذلك بأن هذا الدليل ورد إلينا من أوربة ، فلا بد إذاً من الإيمان به والانحناء له !

وهذا الدليل الحاسم لأنه « وارد أوربة » ، جاءنا في صورة رسالة دورية موجهة من « جمعية الشبان للقانون الدولي » إلى الجامعة ، وقد بلغتها الجامعة إلى جميع أعضاء هيئة التدريس بالكلية ، وقد جاء في هذه الرسالة في أولها ما يأتي بنصه :

« عرف الباحثون الأوروبيون اسم الفقيه المسلم الإمام محمد بن الحسن الشيباني (الذي عاش بين سنتي ١٣٢ هـ - ١٨٩ هـ) من مؤلفه كتاب « السير الكبير » ، بعد أن طبعت ترجمته إلى التركية لأول مرة عام ١٨٢٥م ، ولم يتردد المؤرخ والمستشرق النمساوي الذائع الصيت « هامر فون برجستال » إذ ذاك أن يلقبه باسم « هوجو جروتبوس المسلمين » . وإن كل من يدرك مقدار الإكبار الذي يُكَنِّه علماء القانون في أوروبا للعلامة « هوجو جروتبوس » ، بوصفه أبا القانون الدولي ، ليستطيع أن يتبين مدى المكانة العالية التي يضع فيها هذا التعبير مؤلفات الإمام محمد الشيباني . وقد زادت الدراسات الحديثة في الفقه الإسلامي شهادة العلامة النمساوي الكبير تأييداً ، ودلت على أن الإمام الشيباني خليف بآن يأخذ مكانه الحق بين رؤّاد القانون الدولي العالمين ، على أن هذه الدراسات لم تستطع أن تجذب اهتمام جمهور كبير من المشتغلين بالقانون .

« لذلك رأت طائفة ، ممن تبينوا أهمية هذا الأمر ، أنه من المستصوب ، بَلَدَ من الضروري ، أن تعمل على تأسيس « جمعية الشيباني للقانون الدولي » ، وهي الجمعية التي يشرفني أن أكتب باسمها بوصفي سكرتيراً مؤقتاً لها ، وقد قصد بفكرة الجمعية أن تكون على غرار « جمعية جروتبوس » البريطانية ذات الشهرة العالمية » . ثم أخذ الكاتب بعد ذلك ، في التعريف بهذه الجمعية وأغراضها والغاية التي يجب أن تعمل لها ، وفي طلب الانضمام إليها ومعاونتها على ما قصدت إليه بكل الوسائل ومنها ترجمة مؤلفات الشيباني وغيره من فقهاء المسلمين في هذه الناحية إلى اللغات الأخرى « بنية استكمال المؤلفات العالمية الرئيسية في الموضوع ، وتشجيع القيام ببحوث في التعاليم الإسلامية والفقه الإسلامي في القانون الدولي والعمل على نشرها لفائدة أكبر قدر ممكن من القراء في جميع أرجاء العالم » .

هذا هو الدليل الحاسم الذي أقنع زميلي الفاضل بما كنت أقول ، ونحن لهذا نحمد لهؤلاء العلماء أعضاء « جمعية الشيباني للقانون الدولي » إيمانهم بالحق بعد أن عرفوه ، وعملهم المشكور على إذاعته بكل سبيل . وأكاد أوقن أنه لو كان أجمع المسلمون في مصر وغير مصر على المطالبة بتأسيس هذه الجمعية هنا ، ما كانوا ليجدوا

سميما لهم من الرسميين وأشباه الرسميين في وزارة المعارف والجامعة ! وليس هذا إلا عرضاً من أعراض هذا الداء الويل ، داء عدم الثقة بنا وبأمتنا وتاريخنا وحضارتنا ، والله المستعان ! .

إن اللوم في ذلك لا يقع على ناشئة الأمة وشبابها الذين يصدفون عن معرفة الإسلام وحضارته ومقدار ما يمكن أن يؤدي من خير للعالم كله ، بقدر ما يقع على الذين تولوا تربية هؤلاء الشباب ممن ولوا وزارة المعارف وأمور الجامعة فيما مضى ! وقد قلنا في كلمة نشرت لنا منذ قليل في بعض المجلات الأسبوعية المحترمة إن أستاذاً جامعياً في الاقتصاد ، صار له مركز مرموق في هذه الأيام ، قال لي في حديث طويل عن الإسلام وحضارته : ماذا أدى الإسلام للعالم من خدمات فيما مضى ، وماذا يمكن أن يؤدي من خير في الحاضر والمستقبل من الزمان ! .

واذكر أنه في اجتماع لنا باللجنة الوزارية لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وهي من لجان مشروع السنوات الخمس التي صدر بها قرار من مجلس الوزراء ، كنا نبحث في الضمان الاجتماعي ، فتقدم أحد معاوني اللجنة من موظفي الوزارة الذين نالوا قدراً من الثقافة الأمريكية يقول بأن أحسن ما يمكن الرجوع إليه في هذه الناحية هو ما سارت عليه « جواتيالا » - وكان هذا البلد غير معروف معرفته لنا بعد أن قامت فيه الثورة الحالية التي لم تنته بعد - ثم أخذ يتحدث طويلاً عن هذا النظام ، وبعد أن انتهى من حديثه العجيب ، قلت له ولكن يا أخى هذه مبادئ وأصول قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، ويثبت هذا الذي قرره الإسلام ، فكان أن سكت عن اقتناع أو استحياء ! .

وبعد ! يجب أن نكون صرحاء ، وأن نتعرف الأسباب أو الملل الأولى لما نشكو منه من أدواء ، وأن نعمل بعد هذا على استئصال هذه الأسباب والملل من أصولها ، وسبيل هذا - في ناحية الثقافة والتربية والتعليم - أن تقوم وزارة المعارف والهيئات الرسمية بالجامعة بمصر وغيرها من البلاد العربية والإسلامية بواجبها كاملاً غير منقوص ، وعلى القادرين الأتقياء من أبناء الأمة المعاونة في هذا السبيل .

يجب أن نعترف بالفضل لذويه ، فلا ننكر ما في علوم أوربة وحضارتها من

خير وإن كان مشوباً بغير قليل من ضروب الشر وألوانه ، ولكن علينا قبل هذا أن نعرف الإسلام وحضارته معرفة حققة ، وسبيل هذا تقرير دراسة هذه الحضارة وتاريخ العلوم في الجامعة على الأقل ؛ وبذلك تؤمن الناشئة بالإسلام وحضارته ، وبالعرب وأنجادهم ، وبما قدموا من خير للإنسانية ، وبما يمكن أن يقدموه من هذا للعالم في الحاضر والمستقبل .

إننا حين ندرس تاريخ العلوم الرياضية ، نعرف فضل المسلمين في الرياضيات على مختلف نواحيها ؛ فهم أول من عرفوا « للصفر » قيمته في العدد ، وأول كتاب نرى فيه هذا الصفر كما نرسمه الآن هو كتاب عربي ظهر عام ٢٧٤ هـ مع أن أول أثر هندي ظهر فيه الصفر كان بعد ذلك بعامين ، ومن ثم عرف العالم بأسره فيما بعد « الصفر » عن العرب .

و « الجبر » علم عرفته أوربة عن العرب ، بفضل محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » أيام الخليفة المأمون العباسي ، حتى إن اسم هذا العلم في اللغات الأوربية يتم بوضوح عن أصله العربي ، فهو « Algèbre » في الفرنسية مثلاً .

وكان للعرب فضل نقل الهندسة اليونانية إلى أوربة ، بعدما عدّلتوا منها وزادوا فيها ، حتى لقد أخذها عنهم العالم الغربي وظلوا يتدارسونها كما عرفوها عنهم إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادي .

وإننا حين ندرس تاريخ علم الجغرافية ، نعلم أن العرب تحققوا أن الأرض كروية ، وأقاموا الأدلة عليها مع ما نعلمه من أن « الكنيسة المسيحية » كانت تعاقب العقاب الغليظ الميت من ذهب إلى كروية الأرض من علماء الغرب . وفي كروية الأرض يقول ابن خرداذبة المتوفى عام ٨٨٥م — كما نقل الأستاذ المقاد في كتابه أثر العرب في الحضارة الأوربية — إن الأرض مدورة كتدوير الكرة ، موضوعة في جوف الفلك كاللحجة في جوف البيضة .

وإن العرب هم الذين قدروا على القيام بقياس صحيح لمحيط الأرض يقرب

مما نعرفه اليوم ، وكان هذا بطريق علمي صحيح ، كما عرفوا اختلاف النجوم في أحجامها ، وأبعادها وأن الأرض أصغر كثيراً من الشمس .

وإننا حين ندرس تاريخ الطب بمختلف فروعه ، نعلم يقيناً أن أوربة ظلت معتمدة زمناً طويلاً على كتب المسلمين ، ومن أشهرها كتاب « القانون » لابن سينا ، وكتاب « الحاوي » للرازي اللذان ترجعا في القرن الثاني عشر ، حتى لقد بقيت مؤلفات هذين المفكرين الكبيرين هي المرجع الأول بجامعة « لوفان » إلى أوائل القرن السابع عشر .

ثم كان المرجع الأكبر في أوربة في الجراحة ، وبخاصة جراحة العظام ، هو القاسم خلف بن العباس من الأندلس وذلك بكتابه : « التعريف لمن يعجز عن التصريف » وقد نشر هذا الكتاب الخطير باللاتينية في القرن الخامس عشر .

وحين ندرس تاريخ العلوم الطبيعية ، ندرك يقيناً فضل أبي علي محمد بن الحسن البصري المعروف بابن الهيثم ، ومن مؤلفاته الخالدة كتاب « المناظر في البصريات » ، فعلى كتب هذا العالم والمهندس والرياضي الكبير كان اعتماد الأوربيين في هذه الناحية بعد أن نقلت إليهم .

وإذا درسنا تاريخ علم الكيمياء ، أو الصنعة كما كان يسميه العرب ، نعلم أثر كيميائي العرب الأعلام ، وبخاصة « جابر بن حيان » ، وذلك برغم شك بعض المستشرقين في الكتب التي تنسب إليه ، فإنها على كل حال لأحد علماء العرب الأجداد .

حين ندرس القرآن والسنة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ومن إليهم ، نعلم كذلك أن الإسلام هو الذي قرر في جزم وقوة مبادئ « الحرية والإخاء والمساواة » فليست هذه المبادئ من صنع الثورة الفرنسية كما يزعم الجاهلون . وحسبنا دلالة لهذا نصوص القرآن نفسه ونصوص السنة نفسها ، ثم قول عمر بن الخطاب : « لِمَ تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » ، وذلك في حادث معروف .

وحين ندرك بعض ما أتى به القرآن ، وكذلك السنة ، من حقوق لأعضاء الأسرة بعضهم على بعض ، وبخاصة حقوق الوالدين على أبنائهم ، ينجل أناس

أشاروا هذه الأيام بما سموه : « أسبوع الأم » نقلا عن أمريكا ! كأن الإسلام بحاجة للتعريف بما يجب للأم من حقوق ورعاية !

هذا ، وليس ما أشرنا إليه من فضل العرب على العلوم والحضارة ، في الشرق والغرب معاً ، إلا قطرة من بحر ، ونعرفه من المراجع الأولى التي عنت بتاريخ العلماء والفلاسفة والمفكرين المسلمين (مثل طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، وإخبار الحكماء بأخبار الحكماء للقفاطى المصرى) ، كما نعرفه أيضاً مما كتب علماء الغرب أنفسهم .

ولعل أفضل وأجمع البحوث التي ظهرت أخيراً في هذه الناحية باللغة الفرنسية ، هو كتاب المستشرق الإيطالى : « ألدومبيلي » ، وعنوانه بالعربية : « العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمى » . وقد عرف المغفور له العلامة الأستاذ أحمد أمين قيمة هذا الكتاب حين أطلقته عليه ، فأشار على وزارة المعارف بنقله للعربية ، وكان أن قت - باسم الوزارة - بهذا العمل مع زميلى وصديقى الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ، وهو هذه الأيام في سبيله للطبع والنشر بعد أن فرغنا من ترجمته ومراجعته بفضل الله تعالى .

وأخيراً ، إن على القائمين بأمور التعليم بمصر وغير مصر من البلاد العربية والإسلامية أن يقوموا حقاً بواجبهم كاملاً غير منقوص في هذه الناحية ، ناحية العمل على إعادة ثقة أبناء العروبة والإسلام بدينهم وحضارتهم وأمتهم وقوميتهم ، ولن يكون ذلك ممكناً إلا بالعناية بالحضارة الإسلامية وتاريخها وقيمتها في مختلف النواحي ، وليس كثيراً علينا إن طالبنا بإنشاء كرسي في كل جامعة من الجامعات العربية والإسلامية لهذه الدراسة العالية التي لا بد منها .

ولكن علينا قبل هذا ، أن يعنى القائمون بتدريس العلوم ، بأوسع ما تحويه كلمة علم من معنى ، في الماهد والسكريات بالتقديم لدراسة كل علم بشىء من تاريخه الحقيقى ، وأعتقد أن هذه الأمنية اتخذها قراراً المؤتمر العلمى العربى الذى حضرناه صيف العام الماضى بالإسكندرية .

إنه بهذا أو ذاك ، نؤمن من جديد بحضارتنا وقوميتنا وديننا ، ثم بأنفسنا وحاضرنا ومستقبلنا ؛ وفي ذلك الخير كل الخير ، والله يهذى إلى سواء السبيل .

بين قوتين

للإمام الشهيد حسن البنا

[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] .

وهكذا كتب على الإنسان أن يواجه قوتين ، وأن يجاهد في ميدانين :
« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .
ذكرت الآيات الكريمات :

« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَاهُ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » .

فوقفت أمامها لحظات قصيرة أدركت فيها سر الحياة ، وعرفت منها ما قدر
للإنسان فيها أن يلقاه ، فإذا هو ممتحن بقوتين ، موزع بين عاملين ، مجهز لطريقتين ،
تجذبه مشاعر الخير إلى السمو ، وتهوى به دوافع الشر إلى الخسوف ، وعليه أن
يستلهم ربه ، وأن يستفتي قلبه ، وأن يستخدم نعمة السمع والبصر والفؤاد ، وأصول
الوحي والكتاب والرشاد ، ليفلح ويفوز في ميدان الجهاد :

« وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَمَنَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ » .

وما ذكر الإنسان في القرآن إلا ونوازع الشر به أقوى تعلقاً وأشد لصوقاً ،
وصفات البشرية أظهر فيه وأقوى وضوحاً . وإنما يتطهر منها دائماً بالتهذيب ،
ويقوى عليها بالملاج ، ويسمو بدوام المجاهدة ، ويتركو بالإيمان والعمل ، وذلك قول
الله تبارك وتعالى في آيات :

« وَالْمَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ — إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ — إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ — إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ — قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ... » .

من الناس من يستهو به الشيطان ، وينسى من نفسه معنى الإنسان ، ويهوى به الحنين إلى طبيئته ، فإذا زلّ سكن إلى زلته ، ولم يستطع أن يفيق من غفلته أو ينهض من كبوته ، فتحق عليه الكلمة ويهلك مع الهالكين :

« وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتِمَمَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ » .

ومن الناس من إذا ضلّ وغوى أو زلّ وهوى ، ذكر الله فأفاق ، وتنبت عوامل الخير في نفسه فأناج ، وأسرع بالتوبة يصل بها ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسل بها أدران الذنوب والآثام . ولقد علم الله من الإنسان ضعفه ، فيسر عليه السبيل في جهاده ، وفتح له باب الإنابة على مصراعيه ، وناداه في محكم كتابه :

« يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ » .

فهذا الصنف ، الذي لا تذهب بلبه الآثام ، ولا تطيش بحلمه الأوهام ، إذا عصي ذكر ، فتاب واستغفر — جزاؤه المغفرة والثبوتية :

« وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ! » .

فإذا ألف الإنسان الجهاد ، وعرف طريق الرشاد ، وأصبح جندياً مدرباً ومحارباً للشر مجهزاً ، وواظب على المراقبة والاستشعار ، والتوبة والاستغفار ، استطاع أن يستشعر الأمر قبل وقوعه ، فيتخذ له أهبتة ، ويرد على الشيطان مكيدته ، ويكون من الذين قال الله فيهم :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » .

بل إن هذا المعنى ليتأكد في نفسه حتى يصبح صفة لازمة له تئس منه الشيطان ، وتدخله سرادقات الحماية من قول الله تبارك وتعالى :

« إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .

بل إن الشيطان ليفرق من رؤيته ويفر من خشيته ؛ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعمر رضي الله تعالى عنه : « ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا هرب منك » .

هذا ، أيها الأخ ، ثمرات الجهاد النفساني في ميدان الحياة الإنسانية ، حياة الابتلاء والامتحان ، فماذا أنت صانع ؟ هل تقعد مع الغافلين فتكون من الهالكين ، أم تكافح مع المجاهدين فيكون كتابك في عليين ؟ وهما مقامان لا ثالث لهما :

« فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ : فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » .

فتخير لنفسك وتذكر قول ربك :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » .

الأسرار الروحية في الإسلام

ضمن نطاقات الاشارة

لفضيلة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق السورية

من المقرر في الإسلام أنه يبنى عقيدته وتعليماته وتوجيهاته على أساس أن الحياة البشرية لا تصلح إلا بالاعتماد على ناحيتين اثنتين يجب التلاؤم بينهما ، وهما الناحية المادية والناحية الروحية معاً .

فإذا طغت المادية ساءت المجتمع إلى الفساد والظلم والدمار . وإذا طغت الروحية قعدت بالمجتمع عن التقدم والتعمير والابتكار والازدهار .

وفي هذا المعنى جاء قول القرآن : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » ٧٧/٢١ ، وفي هذا المعنى أيضاً ما يروى عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام : « اعمل لدنياك عمل امرئ يرجو أن يعيش أبداً ، وامل لآخرتك عمل امرئ يخشى أن يموت غداً » (١) .

وعمد الناحية الروحية في الإسلام ثلاثة أمور :

١ - عقيدة بالله تعالى خالق الكون وبوحدانيته وبرسله جميعاً وباليوم الآخر حيث الثواب على الإحسان ، والعقاب على الإساءة ، والحياة الثانية الخالدة .

٢ - عبادة تضمن استمرار صلة الإنسان بالناحية الروحية وتذكير الإنسان بخالقه وبموقفه الأخير لديه كي لا تستمر به الغفلة عن الله تعالى ، فتستحوذ عليه الشهوات الفاسدة والأطعام الخبيثة ومغرياتها .

(١) سنده من حيث اللفظ ضعيف وقد روى أيضاً نحوه بسند ضعيف في حديث لعبد الله بن عمرو بلفظ « فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً ، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً » . لكن معناه يؤيده نص القرآن وقواعد الشريعة .

٣ - إخلاص في العمل بحيث يعمل الإنسان بجهد واجتهاد في الناحيتين الروحية والمادية مكتسباً ومنشئاً ، رئيساً أو مأموراً ، لا يبتغي بعمله واجتهاده إلا القيام بالواجب الذي يتوقف عليه إصلاح الحياة مجرداً عن الأهواء والأنانية ، خاضعاً للحق محاسباً نفسه على انحرافاتهما وتقصيرها بحيث يكون دائماً من نفسه على نفسه رقيب . وهذا ما يسمى بالتقوى .

وبناء على ذلك يوجب الإسلام إصلاح حال الفرد روحياً لأنه أساس إصلاح الأسرة ، كما يوجب إصلاح الأسرة لأنه أساس صلاح المجتمع . وهذا يفسر لنا ظاهرة مهمة هي أن الإسلام قد حاط الأسرة بالتعليمات الروحية منذ التفكير بتكوينها ورافقها بهذه التعليمات بعد تكونها وفي سائر مراحل نموها حتى انحلالها .

أولاً : مرحلة اختيار الزوجة :

ففي تعاليم الإسلام نرى التوجيه الروحي وتأسيسه في الأسرة قبل تأسيس الأسرة فعلاً ، أي منذ اختيار الزوجة ، فاختيار الزوجة في نظر الإسلام هو حجر الأساس في مستقبل حياة الأسرة : فإما أن يكون هذا الحجر متيناً بحكم الوضع والتأسيس فيساعد على بناء جو الأسرة بناءً محكمًا ؛ وإما أن يكون العكس فيكون سوء اختيار الزوجة سبباً في انهيار بنيان الأسرة أو توهنه . ولذلك أعطانا الإسلام مقياساً روحياً لاختيار الزوجة الصالحة ، ولم يترك هذا الاختيار للهوى والغرور ، والشهوة العمياء والمقاييس المادية الصرف ؛ لأن هذه المقاييس المادية هي أولاً عوامل وقتية لا تلبث أن تزول ، وهي ثانياً عوامل ناقصة غير كاملة ؛ فإذا أقيم عليها كيان الأسرة يوشك هذا الكيان أن يكون بثورة شقاء وفساد .

وبإسكم ما جاء به الإسلام في هذا المقياس الروحي لاختيار الزوجة :

(١) مهد القرآن لهذا الاختيار برسم معاني الحياة الزوجية الكاملة لكي يُعرف مقياس الاختيار الذي يوصل إليها ويحققها ، فجاء في القرآن العظيم بياناً لآلاء الله تعالى وفضله في هذا الشأن : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .

فاختيار الزوج زوجه من رجل أو امرأة يجب أن يكون مقياسه كاشفاً عن الصفات الشخصية التي تحقق لكل من الزوجين حياة تتجلى بهذه المعاني الروحية الكريمة ويتجلى فيها جوهرها ومظهرها .

(ب) ثم جاء بيان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب القرآن ، يضع النقاط على الحروف ، وينير طريق الاختيار المتج ، فيبين للرجال كيف يختارون زوجاتهم بقوله : « تُنكح المرأة لأربع : لملها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين » (متفق عليه) .

وهكذا أوصى النبي عليه الصلاة والسلام راغبي الزواج أن ينظروا إلى دين المرأة التي سيختارونها رقيقة لحياتهم قبل كل صفة أخرى . فإذا اجتمعت إلى دين المرأة تلك المزايا الأخرى من مال وجمال ، فذلك غاية المطلوب . أما إذا انفردت وتوزعت تلك المزايا فليكن الترجيح لمزية الدين والخلق ، لأنه هو العنصر الثابت الضامن للحياة الزوجية الكاملة .

والموضوع كما لا يخفى موضوع توجيه وترجيح لا موضوع تحميم وتحريم . فالمرأة التي لا تكمل فيها هذه المزية الدينية يجب أيضاً أن نجد زوجاً . وزوجها يجب أن يعطيها من المعاني الدينية الروحية ما ينقصها . ولكن من الطبيعي المعقول أن يختار الإنسان ابتداء ما هو أصلح عندما يكون متمكناً من الاختيار ، لأنه أقرب طريقاً وأضمن توفيقاً .

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال توجَّهْهُمُ لِأَصْحَابِهِ :

« من سعادة ابن آدم ثلاثة ، ومن شقوته ثلاثة : من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء » .

وهكذا نجد أن النبي عليه السلام قد رسم منهاج اختيار الزوجة ، وهو منهاج رוחي يعتمد المعاني والمقاصد الدينية أساساً ومقياساً .

وإلى جانب هذا التوجيه الإيجابي أتى الإسلام بتنبيه سلبي ، فحذر الرجال من اختيار المرأة الجميلة المظهر إذا كانت فاسدة المنشأ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم وخضراء الدّمن » فقيل له : وما خضراء الدّمن يا رسول الله ؟ فأجاب : « المرأة الجميلة في المنبت السوء » (١) .

والدّمنة في اللغة هي البقعة التي تراكم فيها الأقدار . شبه النبي الجميلة الفاسدة بالرج الأخضر الذي تحته مزبلة ، فكما لا يصلح مثل هذا الرج أن يكون منزلاً صحيحاً صالحاً ، لا تصلح المرأة الجميلة الفاسدة أن تكون أساساً لحياة زوجية صالحة . وهكذا في ظل هذا التوجيه والتنبيه الروحيين ، ومقياسهما الديني يأمر الإسلام الرجل أن يفتش عن المرأة الصالحة عند زواجه ، كي لا يكون في مستقبل حياته الزوجية أمام مشكلات مربية وتربوية ، يقال له فيها بلغة اليوم : فتش عن المرأة ! وكما وجه الإسلام الرجل هذا التوجيه الروحي في اختيار الزوجة وجّه المرأة وأهلها توجيهاً أشد وأقوى في اختيار الزوج .

وعلى هذا جاء التوجيه النبوي يأمر أمراً ويعلمن في غير هوادة ويحذر وينذر ، إذ يقول النبي عليه السلام في هذا الصدد توجيهاً لأولياء النساء : « إذا أنا كم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » (٢) . ففي هذا الحديث وأمثاله ينهى النبي الناس عن أن يمتصموا بالتقاليد العرفية الجوفاء الضارة ، فيضنوا بيناتهم عن الخاطب الصالح إذا لم يكن غنياً أو وجيهاً ، وينتظرون الخاطب الغني أو الوجيه فيلقى لديهم ترحاباً وتفضيلاً ولو كان ملحداً أو جهولاً ، ترجيحاً للشهرة على الدين والخلق . وفي مثل هذا يقول القرآن : « ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » .

ثانياً : مرحلة الحياة الزوجية :

ثم يأتي دور تطبيق التوجيه الروحي في حياة الأسرة بعد مرحلة اختيار الزوجين .

(١) سنده ضعيف ، لكن معناه موافق لقواعد الشريعة .

(٢) حديث حسن .

وفي هذه المرحلة يرسم القرآن غاية الحياة الزوجية وخصائصها في الآية التي سلف استشهدنا بها في المرحلة الأولى وهي قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وفي هذه المرحلة أيضاً يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إن أحدكم ليوثر (أى يثيبه الله) حتى في اللقمة يرفعها إلى فم امرأته » .

وهكذا نرى أن سكون النفس إلى النفس واطمئنانها إليها وأنسها بها في جو من التواد والتراحم ، مشبع بالحنان ، مظلل بالحب والإيمان ، يتعاون فيه الزوجان على البر والتقوى وتوجيه الحياة إلى سبيل الله وإنشاء ذرية صالحة مؤمنة هو في الحقيقة خصائص الحياة الزوجية الصالحة ، ومميزاتها في نظر الإسلام .

وفي ظل هذا المعنى الروحي في البيت الزوجي أيضاً يأمر الإسلام المرأة بطاعة الزوج في غير معصية الله ؛ إذ من المبادئ المقررة في الإسلام ما أعلنه الرسول عليه السلام بقوله : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وفي ظل هذا المعنى الروحي في البيت الزوجي يأمر القرآن الزوج أن يأخذ أسرته بعبادة الله تعالى ولا يشغلهم كسب الرزق وهم عن هذه العبادة ، ويعد بأن حسن العبادة هو مجلبة الرزق ومصلحة الخلق ، إذ يوجه الإنسان إلى مراقبة الله وإحسان العمل والإخلاص فيه ، فيكتسب الإنسان الثقة . وهذه الثقة أكبر رءوس الأموال الجالبة للرزق والربح ؛ فيقول القرآن : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقاً نحن رزقك والماقية للتقوى » .

وفي هذه المرحلة من حياة الأسرة أيضاً يبين الإسلام حدود رئاسة المرأة في بيت الزوجية ويلقى على عاتقها مسئولية دينية أمام الله تعالى عما تحت رئاستها ورعايتها ، ككل مسئولية يحملها راع عن رعيته ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » إلى أن قال : « والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته » .

وقد أوضح النبي عليه السلام في أحاديث توجيهية أخرى أن سعى الإنسان على

عياله في العمل والاكتساب هو كالجهاد في سبيل الله ، وأن كل بر وملاطفة من أحد الزوجين للآخر ، بغية امتثال أمر الله في توطيد المحبة والوفاء الزوجي هو كالعبادة في أجره وثوابه ولو كان فيه حظوظ شخصية وملذات مدام الزوجان في ظل الفكرة الروحية ، يفكران في استباحة ما أباحه الله ، والوقوف عند حدوده التي حددها .

تربية الأولاد :

ثم تأتي قضية تربية الأولاد وتوجيههم كشمرة للحياة الزوجية . فإذا كانت الأسرة هي المصنع الأساسي للأفراد ، ترى الشريعة توجب على كلا الزوجين نحو الأولاد في الناحية الروحية واجبين :

١ - توجيه الأولاد وجهة الدين وتمويدهم منذ الصغر على عبادة الله تعالى ، وغرس عقيدة الإيمان في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ، كي ينشأوا والإيمان ومراقبة الله واليوم الآخر ملء نفوسهم ، كما تأمر الشريعة الأبوين بتطبيق المبادئ الأدبية الشرعية المتعلقة بالجنس على الأولاد في سن مناسبة من الوعي قبل البلوغ . وفي ذلك يقول النبي عليه السلام : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

والقصد هو أن ينشأ الطفل على ممارسة الناحية الروحية وتطبيق المبادئ الأدبية قبل سن التكليف كي لا تكون مفاجأة غريبة شاقة عليه في سن التكليف .

٢ - تعليمهم ما يحتاجون إلى تطبيقه عملياً في حياتهم من أحكام العقيدة الدينية والعبادات والواجبات الخاصة والعامة : أي المعلومات الدينية والتوجيهات الروحية ، مما يسمى اليوم بالتعليم الديني لقول الرسول عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ^(١) » .

وكل واجب يحتاج إلى مساعدة الحكومة من هذه النواحي الروحية فهو واجب على الحكومة أيضاً أن تيسر أسبابه للأسرة ، نظير هذا التعليم الديني اليوم للناشئة ؛ لأن هذا التعليم الديني لا تستطيع اليوم كل أسرة أن تحققه على أفراد لناشئتها ،

(١) في سنده ضعف لكن متنه يؤيده نصوص كثيرة في الكتاب والسنة الثابتة وفوائد الفريضة المستنبطة منهما ، ونصوص الفقهاء .

بل يجب أن يكون جزءاً من برامج التعليم العامة التي هي بيد الدولة في معظم الممالك ؛ وذلك لكي لا ينفصل التعليم العام عن التوجيه الروحي لأن العلم إذا مشى وحده كان سلاحاً خطراً ذا حدين ينفع من جهة ويضر من أخرى ، إذ يعيش الإنسان عندئذ في طريق المادية والفرور والأنانية فيكون العلم أداة يستخرجها لبلوغ أكبر قدر من المطامع والشهوات وإرضاء الهوى والأنانية ، فيصل إلى الإباحية متى فارق الطريق الموصلة إلى الله ، فيصبح بملء الجرد عن التوجيه الروحي ذنباً أو شيطاناً بدلاً من أن يكون إنساناً مصلحاً يبنى خيراً وينشر إحساناً .

وفي هذه المرحلة الثانية يأتي موضوع واجب الأولاد في بر الوالدين وطاعتهم وهو من أهم نواحي المبنى الروحي في حياة الأسرة في نظري ، ويعتبر واجباً دينياً وأديباً على الولد نحو والديه في مقابل واجباتهما نحوه ؛ والمبدأ الإسلامي فيه هو ما أعلنه القرآن بقوله : « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً » ١٦/١٥ وقد قرنه القرآن بعبادة الله في قوله : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » وهذا الواجب الإسلامي على الولد المسلم يستوى فيه ما لو كان والداه مسلمين أو غير مسلمين . ففي حق الوالدين غير المسلمين جاء قول القرآن خطاباً للولد : « وصاحبهما في الدنيا معروفاً » .

ثالثاً : مرحلة انفكاك الزوجية :

قد يتعذر استمرار الحياة الزوجية بين ركني الأسرة : الزوج والزوجة لسبب ما ، ويميل الوضع بينهما نحو قصد الانفصال ، وقد أعلن القرآن المبدأ الذي يجب أن يكون هو الحاكم في بقاء العلاقة أو إنهاؤها بين الزوجين فقال : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » وقال : « ولا تمسكوهن ضرراً لتمدنوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » . على أنه في حالة الميل إلى التسريح (الطلاق) حذر الإسلام تحذيراً روحياً منه كي لا يستعمل إلا عند اليأس من الإصلاح ، فقال الرسول عليه السلام : « ما أحل الله حللاً أحب إليه من النكاح . ولا أحل حللاً أبغض إليه من الطلاق » (١) .

(١) سنده ضعيف لكن معناه موافق لقواعد الشريعة .

وأوصى القرآن الرجال بصورة خاصة أن يتحملوا من نساءهم ما يمكن احتماله دون أن يلجأوا إلى الفراق لأذى سبب ناسين الواجب والمودة التي أسستها الحياة الزوجية بينهما فقال : « ولا تنسوا الفضل بينكم » وبشّرهم على هذا الاحتمال بحسن النتيجة من الله فقال : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فمسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

هذا عرض إجمالي للأسس الروحية في الإسلام لحياة الأسرة ومنها يتبين أن الإسلام يهتم بهذا التأسيس في الأسرة اهتماماً كبيراً يحيط بها من قبل تكونها إلى انحلالها؛ لأن هذا المبنى الروحي في الأسرة هو - كما أسلفنا بيانه - أساس للتوجيه الروحي الضروري في حياة البشر في تكوين الفرد وبناء المجتمع .



واصبر نفسك . . .

صبر النفس مع الذين يمثلون روحانيتها تمثيلاً دائماً بالنداء والعشى ، وعلى نور الحياة وظلامها يريدون وجه الله الذي سبيله الحب لا غيره من مال أو متاع ، وتقيد العينين بهذا المثل الأعلى كما يكون الأمر في الجمال والحب ، والربط على الإرادة كيلا تنفلت فقتشف إلى حقائر الدنيا المسماة - هزءاً ونهكاً - (زينة الحياة الدنيا) تلك والله هي أسباب السعادة والقوة ، أما المصائب كلها فهي إغفال القلب الإنساني عن ذكر الله .

« الرافعي »

خاطرة :

مَعَ السَّلَفِ

كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يقول : « من عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله . أما بعد ، فقد ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة مني ولا إرادة ، يعلم الله ذلك . فإذا أتاك كتابي فاكتب إلى بسيرة عمر بن الخطاب في أهل القبلة وأهل العهد ، فإن سائر بسيرته إن الله أعانني على ذلك والسلام »

فكتب إليه سالم : « من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين . أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني تذكر أنك ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة ولا إرادة ، يعلم الله ذلك . تسألني أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهد ، وتزعم أنك سائر بسيرته إن الله أعانك على ذلك . وإنك لست في زمان عمر ولا في مثل رجال عمر . فأما أهل العراق فليكونوا منك بمكان من لا غنى بك عنهم ، ولا مفقرة إليهم ، ولا يمنحك من نزع عامل أن تنزعه أن تقول : لا أجد من يكفيني مثل عمله ؛ فإنك إذا كنت تنزع لله وتستعمل لله ، أتأج الله لك أعوانا وأتأك بهم . فإنما قدر عون الله للعباد على قدر النيات ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر عون الله له ، والله المستعان والسلام »

لقد نقلتني هذه الصفحة نقلة هائلة إلى عالم آخر . . . إلى الحياة التي حكمتها تلك النماذج الإنسانية الرفيعة من أمثال سالم وعمر ، وطويت الكتاب خاشعا وفي عيني دموع ، لست أدري أمي دموع القلب الخافق لجلال هذا السلف ، أم هي دموع الأسى على الجهل والصغار والغفلة التي أصابت المسلمين !

الشرق العربي

من حرب عالمية إلى أخرى

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

(٢)

كانت ثورة مصر إذن عام ١٩١٩ - كما قدمنا - الشعلة الأولى التى أضاءت فى جنبات الشرق العربى لتثير سبيل الحرية ، وتحبى الأمل فى قلوب المجاهدين ، وتلغح أيضاً بنارها وجوه المستعمرين . ولقد كانت ثورة طبيعية لم يسبقها تدير : تعبيرا بليغا عن إيمان شعب قوى بحقه ، وصيحة مدوية فى أذن الاستعمار أشمرته بروعة الحق وأعلنت استنكار عدوانه وغدره ، وأقامت الدليل على أن أمة متحدة الإرادة صادقة العزم تستطيع ، ولو كانت عزلاء ، أن تتحدى دولة مدججة بالسلاح خرجت مزهوة من حرب انتصرت فيها على أعدائها . ونشأت عن ظروف مصر الخاصة : منذ أن اغتنمت إنجلترا فرصة الحرب ففرضت على مصر « الحماية » ثم أصرت بعد انتهائها على أن تبقىها وتجعلها نظاما دائما . فلم تكن للثورة صلة بالأحداث التى كانت تجرى فى سائر الأقطار العربية فى ذلك الوقت ، فيما عدا أنه كانت تجمع بينها صفة مشتركة ، وهى أنها كلها كانت أعمال كفاح ضد المستعمر الأوروبى الذى أراد أن يحمل الشرق العربى ميدانا لعدوانه ، وبقيت مثالا ملهما للشعوب التى ستلجأ إلى جهاد هذا المستعمر ، من أجل نيل حقوقها .

كانت ظروف الشعوب العربية الأخرى مختلفة عن ظروف مصر : فإنها نظراً لبقاء ارتباطها مع الدولة العثمانية إلى وقت الحرب ، وما عانت من مر التجارب من

الأتراك المتعصبين لقوميتهم ، وما قاست من الويلات إذ ذاك — كان شعورها بالسخط على تلك الدولة شديدا . فلما واثت فرصة الحرب ، وجد قادة الرأي فيها أن الوقت قد حان لرفع نير الحكم التركي ، وتحقيق الأمل الذي طالما حلموا به : وهو إنشاء دولة عربية متحدة كبرى ، تمتد حدودها من جبال طوروس شمالا إلى المحيط الهندي جنوبا ، ومن حدود إيران شرقا إلى البحر الأبيض المتوسط غربا . وتألقت الجمعيات السرية من أحرار العرب في الشام والعراق مثل « العربية الفتاة » و « العهد » و « الإصلاح » وغيرها ، وكانت « دمشق » قلب الحركة العربية . وحين فكر « الحسين » في القيام بحركته اتصل بواسطة ابنه « فيصل » بتلك الجمعيات ، وسجلت الوثائق التي تبادلها مع ممثلي الحلفاء أن هدف تلك الحركة هو تحقيق المثل الذي وضه قادة العرب نصب أعينهم : ألا وهو توحيد البلاد العربية واستقلالها .

وقد صرح الحلفاء ، على لسان إنجلترا ، بأنهم مؤيدون لتلك الخطة ، وأعطوا تعهداتهم الأكيدة بأنهم سيعملون على تنفيذها عقب الحرب . ومن أجل هذا خاض كثير من رجال العرب القتال ملتفين حول راية الحسين ، إلى جانب الحلفاء ، وقدموا لهم من المساعدات — مادية وأدبية — ما دلل لهم العقبات في طريقهم ، وما مكّنهم من الانتصار على الأتراك ، الذين كانوا يشمرون — كما دونوا ذلك في وثائقهم — أنهم يحاربون في أرض معادية ! وقد شهد زعماء الحلفاء ، من سياسيين وحربيين ، بهذا الفضل للعرب ؛ ولم يحاولوا أن يحدوه .

تطلعت الشعوب العربية إذن عقب الحرب إلى تحقيق تلك الآمال ، وانتظروا وفاء « الحلفاء » بموعدهم . وقد أصبح الملك « حسين » ممثلا لهم ، وعقدوا الآمال على مساعي وجهود ابنه الأمير « فيصل » ، لحل الحلفاء على الشروع في إنجاز ما وعدوا به . وكان آخر وعد بذلوه هو مذكرتهم التي أعلنوها في ٨ نوفمبر ١٩١٨ ، وقد جاء بها : « إن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وإنكلترا في الشرق تلك الحرب التي أهاجتها مطامع الألمان إنما هو لتحرير الشعوب التي رزحت أجيالا طوالاً تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختيارا حرا . ولقد أجمعت فرنسا وإنكلترا

على أن تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتمينا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية في سورية والمراق . . .

ولكن جيوش الحلفاء ، وقد انتهت الحرب ، بقيت محتلة لأراضي العرب : لسورية ولبنان وفلسطين والمراق ، التي دعوها في المذكرات الرسمية « أرض المدو المحتلة » . وقال الزعماء إن هذه إجراءات مؤقتة ، إلى أن يتم الاتفاق على النظم التي ستببع في « مؤتمر الصلح » وكان هذا المؤتمر سينعقد في باريس في أوائل عام ١٩١٩ . وصل « فيصل » إلى أوروبا في أواخر عام ١٩١٨ على رأس وفد الحجاز ممثلا لوالده وليتكلم باسم العرب ، فلاقى من « فرنسا » عنتا ، إذ أساءت استقباله ، وعارضت في أن يحضر مؤتمر الصلح بدعوى أن الحجاز لم يكن — أى بالرغم من اشتراكه الفعلي في القتال — أحد الدول المحاربة ! وتبين له على الفور مدى الفرق بين الأمل والواقع المرير ، وبدأت تتكشف له رويدا — وكان قليل الخبرة في ذلك الوقت — حقيقة الأوربيين وطبيعة الاستعمار . فلم يقبل في المؤتمر إلا بمضغ من إنجلترا . هذا في الوقت الذي قبل فيه وفد « الصهيونيين » الذين لا يمثلون أية دولة ، بدون عناء بل بكل ترحيب ، وفي نفس الوقت أيضا — وهذا على طريق المقابلة — الذي حيل فيه بين وفد مصر — الدولة الكبيرة التي كان عدد سكانها اثني عشر مليونا — وبين حضور المؤتمر . فاعتقل زعمائها ونفوا إلى « مالطة » ، وسفكت المدافع الإنجليزية دماء المصريين في طرقات القاهرة وغيرها ، لأنهم طالبوا أن يسمع صوتهم في مؤتمر « السلام » !

وافتح « المؤتمر » في يوم ١٨ يناير ١٩١٩ ؛ ولم يكن يقصد من حضور « فيصل » المؤتمر ، منذ البداية ، إلا أن يكون شكليا . فبالرغم من أنه سمح له — بتوسط الرئيس « ولسن » — أن يمرض قضيته في يوم ٦ فبراير — وكان الضابط الإنجليزي « لورنس » مترجما في المؤتمر — فإن المؤتمر لم يفعل له شيئا ، سوى أن قرر في يوم ٢١ مارس إرسال لجنة دولية للتحقيق واستفتاء السكان ! .

ووجد « فيصل » عند زيارته للندن وباريس أن نية إنجلترا وفرنسا — وهما الدولتان اللتان كانتا مسيطرتين على المؤتمر — منعقدة على تنفيذ اتفاقية

« سيكس - بيكو » ، بعد انتهاء المساومات التي كانت دائرة بينهما ؛ وهي تلك التي تقضى باقتسام أقطار الشرق العربي بينهما ، وذلك بعد خروج روسيا إذ كانت قد انسحبت من الحرب عقب ثورتها في العام السابق لانتهاه الحرب . كما أن إنجلترا كانت معترمة أيضا ، بالاتفاق مع حليفتها ، تنفيذ وعد « بلفور » الذي يرى إلى تحويل « فلسطين » إلى أرض يهودية . وقد حملت إنجلترا الأمير - بتاير « لورنس » الذي كان فيصل منقادا له كل الانقياد - حملته على أن يوقع مع « وايزمان » على اتفاقية اعترف فيها بوجاهة الأمانى الصهيونية وصرح بمطفه عليها ، ووعد بالتعاون مع الصهيونيين في المستقبل - وإن كان قد اشترط أن ذلك رهن بتحقيق آمال العرب ، غير مدرك ما بين الهدفين من تناقض صارخ ! وغير متبين ما في مشروع الصهيونيين من خطورة على فلسطين والبلاد العربية كلها . وبذلك انتهت مهمته في أوربا فعاد إلى سورية في آخر أبريل ١٩١٩ ، وأخذ يهيئ الجو لحضور اللجنة التي قرر مؤتمر الصلح إرسالها .

ولكن إنجلترا وفرنسا نقضتا قرار المؤتمر ، بأن امتنعنا عن إرسال مندوبين عنهما ، فحضرت اللجنة برئاسة مندوب الولايات المتحدة . وهي اللجنة التي عرفت باسم « كنج - كرين » ؛ وقد وفدت إلى سورية في يونيه ، وقامت باستفتاء عام دقيق وصلت فيه إلى حقيقة رأى البلاد ، وكانت لجنة عادلة محايدة ، ثم قدمت تقريرها في أغسطس عام ١٩١٩ . وخلاصة ما انتهت إليه أن الأكثرية العظمى تطلب استقلال سورية التام على أن تكون موحدة شاملة لفلسطين ، وتستنكر فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود . فإن لم يكن بد من الانتداب فليكن لأمریکا ، على أن يكون لمدة مؤقتة وعلى أن لا يكون المفهوم منه أنه استعمار ، بل مجرد بذل المساعدة الفنية لمعاونة الحكومة الوطنية على النهوض ، فإن لم تكن أمريكا فإن إنجلترا على نفس الشروط ، أما فرنسا فقد رُفضت إطلاقا . وقد سجلت اللجنة نفسها معارضتها للمشروع الصهيوني ، موضحة أنه لن يمكن تنفيذه إلا بإراقة الدماء وبإجلاء السكان الأصليين بقوة السلاح ، وهو ما يخالف كل المخالفة المبادئ التي دعا إليها « ولسن » ، والغايات التي من أجلها حارب الحلفاء . ولكن هذا التقرير لم يكن له من أثر ، وألقت به الدولتان الاستعماريان ،

إنجلترا وفرنسا ، في سلة المهملات — كما كانتا قد ألقتا بآمال العرب — وكان « ولسن » قد فقد نفوذه ، إذ أن أمته نفسها قد خذلتها وعارضت ما اتفق عليه مع رؤساء الدول الاستعمارية في « مؤتمر الصلح » .

بذلك خلا الجو لإنجلترا وفرنسا ، فوصلتا إلى اتفاقات على تقسيم النفوذ ، وتبادل المصالح ، واستطاع الاستثمار أن يحقق حينئذٍ أقصى غاياته ، وساد الظلم ، وديس على الحريات والحقوق . توصل « لويد جورج » و « كلنصو » إلى اتفاق في ١٥ سبتمبر ١٩١٩ على تعديل معاهدة « سيكس — بيكو » ؛ وكان مضمون هذا التعديل : أن فرنسا وافقت — بمد إلحاح من إنجلترا — على أن تترك للأخيرة ولاية « الموصل » ، فتكون لإنجلترا السيادة على « العراق » كله ، في نظير أن تعطى إنجلترا لفرنسا حصّة وافرة من الزيت . وتُلقى المنطقة التي كان قد اقترح أن تكون دولية حول القدس ، فتصبح فلسطين كلها لإنجلترا ، حتى تستطيع أن تحقق آمال اليهود . وفي مقابل ذلك وافقت إنجلترا — رامية بمهودها للعرب عرض الحائط — على تجزئة سورية : فهي قد أخذت فلسطين بالاشتراك مع أبناء إسرائيل ، وتستولي فرنسا على لبنان جاعلةً منها قسماً منفصلاً ، وعلى المناطق الساحلية والشمالية من سوريا ، تاركةً فقط المسدّن الأربع الداخلية ليقم عليها الأمير فيصل حكومة عربية .

واستدعى « لويد جورج » الأمير لينبته بهذا الاتفاق . فذهب مرة أخرى إلى أوروبا في سبتمبر ١٩١٩ ، وبعد أن قام باتصالاته مع حكومتى إنجلترا وفرنسا لم يردّأ من الموافقة على المشروع . وفي أثناء وجوده هناك عيّنت فرنسا الجنرال « غورو » قائداً عاماً للجيش الفرنسي في الشرق ومندوباً سناعياً لها ، فوصل إلى بيروت في ١٨ نوفمبر ، وأخذت الجنود الفرنسية تردّ تبعاً إلى الشام . وفي خلال الشهر نفسه « نوفمبر » شرع الجيش الإنجليزي في إخلاء سورية طبقاً لما اتفقت عليه حكومته مع حليفتها فرنسا ، تاركةً حكومة الأمير « زيد » أخى الأمير فيصل الذي كان الأمير قد أقامه نائباً في « دمشق » في أثناء غيابه مواجهةً لفرنسا في الشمال ، بينما انفردت إنجلترا بالنفوذ في الجنوب « فلسطين والأردن » وفي الشرق « العراق » . ثم عاد الأمير فيصل

في يناير من العام التالي : ١٩٢٠ . وكان هذا آخر ما وصلت إليه آمال العرب ، وغاية ما انتهت إليه جهوده وتأثيره على حلفائه وأصدقاء والده ، بعد الانضمام إليهم ، وتأبيدهم بكل الوسائل ، والمحاربة في سبيلهم ، منذ يونيه عام ١٩١٦ : أي أن البلاد العربية وجدت نفسها في حالة أسوأ بكثير مما كانت عليه في عهد الدولة العثمانية : فقد مُزقت بدءاً وقطعت أوصالها ، ونصب عليها سادة متعددون ، هم أجانب عن ثقافتها غرباء عن روحها ، أعداء الإسلام والعرب التاريخيون منذ عهد الحروب الصليبية ، ولذلك كان لا غرو أن يعلن الجنرال « ألانبي » يوم دخل القدس : « اليوم خُتِمت الحروب الصليبية » ! ! بكل ما تتضمن هذه الجملة من معان . وهي قد خُتِمت ، ولكن من وجهة نظر الأوربيين .

كان شعور الاستياء بالغاً ، إذ شعر العرب وأهل الشام بصفة خاصة أنهم يبيعون السلع ، وعرفوا أن المبادئ التي يدعو إليها الحلفاء خداع ، وأنها لا تقف أمام المطامع الاستعمارية . ولقد قرروا إزاء هذا أن يعلنوا صوت الشعب ويظهروا إرادته في صورة محددة ، ويبدأوا في التنفيذ ليضعوا الدول أمام الأمر الواقع . فوفقاً لهذا اجتمع « المؤتمر السوري » - وهو مؤتمر دستوري كان يمثل الرأي العام تمثيلاً صحيحاً - فأصدر في يوم ٨ مارس ١٩٢٠ قرارات هامة حدد بها مستقبل البلاد . وإصدار تلك القرارات هو نقطة البدء في تاريخ سورية الحديثة . فكان أهم القرارات إعلان استقلال سورية بمحدودها الطبيعية ومنها « فلسطين » استقلالاً تاماً ؛ وحفظ حقوق الأقلية ، ورفض مزاعم الصهيونيين ومعارضة هجرتهم ، وإقامة حكومة ملكية نيابية مسئولة ، واختار المؤتمر الأمير فيصل ملكاً على البلاد . كما اجتمع في نفس اليوم « مؤتمر من رجال العراق » وأصدر قرارات باستقلال « العراق » وباختيار الأمير عبد الله ملكاً عليه . وكانت إنجلترا قد احتلت العراق وحكمته حكماً عسكرياً مباشراً منذ نهاية الحرب ، وأرادت أن تجعله ولاية ملحقة بحكومتها في الهند .

وتنفيذاً لقرار المؤتمر قامت الدولة الفيصلية في « دمشق » وألفت أول وزارة برئاسة رضا باشا الركابي وشرعت في تأدية وظائفها . وأوفد الملك أحد المخلصين له وهو اللواء « نوري السعيد » إلى لندن وباريس ليحصل على اعتراف حكومتيهما

بالعهد الجديد . وكان الواجب أن تحترم الدول الإرادة الشعبية ، وترحب بهذا النظام الذى كان لا بد أن يعمل على الاستقرار . ولكن إنجلترا وفرنسا - الحلفاء - أسرعتا إلى إعلان عدم اعترافهما بقرارات المؤتمر . وكان جوابهما دعوة « مجلس الحلفاء الأعلى » إلى الانعقاد . فانمقد في « سان ريمو » وأصدر قراراته في ٢٥ أبريل ١٩٢٠ . وكانت قرارات غاية في الخطورة ، وكان لها أكبر الأثر على مستقبل الشرق العربي . قرر الحلفاء إذ ذاك وضع الأمة العربية تحت الانتداب « الوصاية » ، أى أن الأمة العربية كان يجب أن تظل مستعبدة للدول الغربية ، محتلة بالجيوش الإنجليزية والفرنسية تتصرف فيها وتعمل عليها إرادتها كما تشاء . وقدوزعوا الانتداب فجملوه لإنجلترا على العراق وفلسطين كلها مع تمهد لإنجلترا بإنشاء الوطن القومى لليهود ، وأعطوا الانتداب لفرنسا على سورية كلها بما فيها حكومة فيصل في دمشق . وكان هذا مخالفاً لما اتفق عليه لويد وجورج وكننصو من قبل في ١٥ سبتمبر من العام السابق .

وإذ وجدت فرنسا نفسها مسلحة بقرار الانتداب ، غدت علاقتها مع حكومة الأمير فيصل علاقة الذئب بالحل ! وكما أن الذئب ادعى على الحل - ظلاماً وعدواناً - أنه عكر عليه الماء ، فكذلك ادعت حكومة الجنرال « غورو » الفرنسى على الأمير « فيصل » أنه عكر عليه الجو في الشام ! وأجمع « الذئب » رأيه على التهام الحل ! ففي يوم ١٤ يولييه ١٩٢٠ أرسل الجنرال « غورو » إنذاراً إلى حكومة دمشق يطلب التسليم بأمر مميته : منها قبول الانتداب ، وتسريح الجيش ، وإخلاء سكة حديد الخ ، وحدد للرد أربعة أيام مدت يوماً آخر . وقد آثر فيصل الخضوع بدلاً من المقاومة ؛ فسرّح جيشه . ولكن جوابه تأخر في الطريق ، فقرر الجيش الفرنسى الزحف على دمشق في يوم ٢٠ يولييه بدباباته وطائراته . وتقدم فريق من الوطنيين ، على رأسهم يوسف بك العظمة وزير الدفاع في الحكومة التي كان يرأسها إذ ذاك السيد هاشم الأتاسى - وهي الوزارة الثانية تألفت يوم ٣ مايو - تقدموا لمقاومة الجيش الفرنسى بدون استعداد . فحدثت معركة « ميسلون » في يوم ٢٤ يولييه التي فتك فيها الفرنسيون بنحو ألفين من الوطنيين من بينهم وزير الدفاع . ثم احتلوا « دمشق »

في يوم ٢٨ منه وبقية المدن السورية ، وأمروا فيصّل بالرحيل ، فلم يملك إلا مغادرة البلاد . ومنذ ذلك الوقت بدأ عهد الجهاد والألم والتضحيات في تاريخ سورية ، وكان على السوريين أن يدفعوا من أجل حريتهم ضرائب العرق والدماء والدموع — لمدة ربع قرن بعد ذلك .

ولكن قرارات « سان ريمو » كانت أشعلت في نفس الوقت ثورة في « العراق » فقد تيقن العراقيون بعدها من مصيرهم ، وعرفوا أنهم لا يراد بهم — على أنهم جاهدوا أحسن جهاد في سبيل الحركة العربية وساعدوا الحلفاء في أوقات شدتهم — لا يراد بهم إلا أن يظلوا خاضعين لإنجلترا ، وأن آمالهم في الاستقلال وفي نهضة الأمة العربية قد قضى عليها . وكان الإنجليز قد أقاموا حكومة عسكرية في بغداد على رأسها الكولونيل « ولسن » وعينوا حكماً عسكريين على كل المدن العراقية ، وجلبوا معهم موظفين من الهند ، وأساءوا معاملة الشعب وجرحوا كبريائه ، غير فاهمين لنفسيته . وكان قد مضى عام ونصف على هذه الحال ، والبلاد يزداد فيها الاضطراب ، وأحوال الميشة مختلة لعدم الاستقرار . ثم جاء الحلفاء فرفضوا قرارات « المؤتمر العراقي » ، ومنعوا الأمير عبد الله من الوصول إلى بغداد . هذا في الوقت الذي أقام فيه الأمير فيصل حكومة في سورية ، وكان مثل الثورة المصرية التي كانت لا تزال مستمرة واستطاع المصريون أن يجبروا الإنجليز على التراجع — كان ماثلاً أمام أعين العراقيين . فاجتمعت كل هذه العوامل لتسبب قيام الثورة العراقية ، التي كانت شرارتها القبض على بعض كبار العراقيين . فبدأت الثورة منذ يوم ٣٠ يونيو عام ١٩٢٠ ، وتزعّمها العلماء ورؤساء العشائر ، واشتركت فيها بغداد والفرات ثم انتشرت إلى سائر الأنحاء . وكان في طليعة قادتها الإمام محمد تقي الشيرازي الذي خلفه عند وفاته شيخ الشريعة الأنصهاني ، والسيد محمد الصدر، وجعفر جلبي أبو التمن ، والسيد علوان الياسري ، والشيخ محمد الباقر ، والشيخ محمد رضا الشيباني ، وغيرهم . وقد جاهد العراقيون جهاداً صادقاً ، وألقوا على الإنجليز درساً قاسياً ؛ وذلك لأن الوطنية كانت متحدة مع الدين ومستمدة منه ، فكانت الحركة إسلامية روحية ناجحة موفقة . وقد استطاع الثوار أن يجبروا الإنجليز على إخلاء ريف العراق ،

فبقوا شبه محصورين في المدن الثلاث الكبرى ، وألف الوطنيون حكومات محلية ، واستمرت الثورة إلى أكتوبر ١٩٢٠ ، بعد أن تكبد الإنجليز خسائر قدرت بنحو أربعين مليوناً من الجنيهات ، ومئات من القتلى والجرحى ، كما قتل من المراقبين بضعة آلاف ، ولكنهم ماتوا شهداء راضين مرضيين في أقدس قضية ، فهم أحياء عند ربهم يرزقون . وأنتجت الثورة أثرها ، فأخذ الإنجليز يفكرون في تغيير سياستهم ، وبدأوا بالفعل في تنفيذ سياسة أخرى .

وهكذا كان الشرق العربي في السنوات التي أعقبت الحرب يغلي كالرجل ، ولم يظفر بالسلام الذي كان يشده ، وصارت تتوالى فيه الأحداث وتنفجر الثورات . ولكن هذا كان دور الجهاد أو المحنة التي يصهر فيها معدنه . وصدق قول الله تعالى : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » وقوله تعالى أيضاً : « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين » .

« البقية في العدد القادم »

سَلِّ عَنْكَ اَلْهَمَّ

سَلِّ عَنْكَ اَلْهَمَّ إِنَّا لَا نَبَالُ بِالْهَمِّ
نَحْنُ قَوْمُ رِضَانَا تَتَجَلَّى كُلُّ الْغَمِّ
وَبِتَسْلِيمِ حَكِيمٍ لَقَضَى رَبُّ حَكِيمٍ
لَا يَشِبُّ الْحُزْنَ مَنَا جَاحِمِ الْخَطْبِ الْأَلِيمِ
لَا نَسَى الْآدَبِ الْوَاجِبِ لِلْمَوْلَى الْعَلِيمِ

عَجِباً لِلرَّءِ يَرْضَى حَكْمَ ظَلَامٍ غَشُومٍ
ثُمَّ يَمْلَأُ صَدْرَهُ السَّخَطُ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ
أَيُّهَا السَّاخِطُ عَذْرَاءَ لَسْتُ عِنْدِي بِمَلُومٍ
إِنَّمَا أَطْنَاكَ حِلْمٌ جَلَّ رَبِّي مِنْ حَلِيمٍ
« عبد الله بن كنون » طابعة

بين يدي الرسول :

مَبْنِيَّاتُ الدِّينِ

دين يزرع الحب

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملكُ ولك بمثلٍ » .

دين يعلم الذوق

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيمن أحدكم أخاه ثم يجلس في مجلسه » .

وكان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه .
وفي حديث أبي عوانة : « من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » .

دين يفرض القوة

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ وَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ ، فَلَا يَمُجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُلْهَوْ بِأَسْهَمِهِ » .
وَأَخْبَرَ اللَّيْثُ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ يَمْقُوبٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ ، أَنَّ فَقِيهًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْفَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ ، قَالَ عُقْبَةُ : لَوْلَا كَلَامُ سَمْعَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أُعَانِهِ ، قَالَ الْحَارِثُ ، فَقُلْتُ لِابْنِ شِمَاسَةَ : وَمَا ذَاكَ ، قَالَ : إِنَّهُ قَالَ : « مَنْ عِلِمَ الرِّمَى ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى » .

دين يطارد النفاق

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » .

دين يعالج الواقع

قال ابن الزبير : إني سمعت عائشة تقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن الناس حديث عهدم بكفر ، وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع ، ولجملت لها بابا يدخل الناس منه ، وبابا يخرجون منه » .

دين يقدس آصرة البيت

عن أبي سعيد الخدري ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضي إلى امرأته ، وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها » .

دين يبعث الحياة

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم معبد حائطا فقال : « يا أم معبد : من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ فقالت : بل مسلم . قال : فلا يفرس المسلم غرسا ، فياً كل منه إنسان ولا دابة ولا طير ، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة »

الطريق إلى مكة

للأستاذ محمد أسد

[في المدين الثاني والخامس من « السامون » هذه السنة نشرنا مقتطفات من قصة حياة الأستاذ محمد أسد « الطريق إلى مكة » التي كتبها بقلعه ، وستظهر في كتاب في أمريكا وإنجلترا خلال الأشهر القليلة القادمة ، وفي ألمانيا في ربيع ١٩٥٥ إن شاء الله .
وفيما يلي ترجمة قطعة أخرى بعث بها الأستاذ أسد إلينا من ألمانيا الغربية — حيث يذيع بالألمانية أحاديث دورية في الإسلام — وهي تصف اعتناق المؤلف للإسلام في برلين سنة ١٩٢٦ بعد سنين عديدة من الأسفار خلال العالم الإسلامي .

بعد إسلام المؤلف على النحو المبين في هذا الفصل لم يلبث أن ترك أوروبا وأقام في المملكة العربية السعودية حتى سنة ١٩٣٢ حيث غادرها إلى الهند مقابل المرحوم العلامة محمد إقبال؛ ومنذ ذلك الحين استهوت فكره الباكستان ، فذهب للعمل على تحقيقها]

« التحرير »

كنت راكباً من هرات إلى كابل^(١) خلال الأودية والمرتات المغمورة بالثلوج بين جبال هندوكوش في أفغانستان الوسطى ، وكان الجو بارداً والجليد ناصعاً يتلألأ ، وعلى كل جانب قامت الجبال شاهقة بلبقاء .

كنت حزيناً ذلك اليوم ، ومع ذلك فقد كنت أشعر بسرور غريب : كنت حزيناً لأن الناس الذين عشت معهم بضعة الأشهر السابقة كانوا يبذلون محجوبين بسجف كثيفة عن النور والقوة والتماء ، مما كان بإمكان عقيدتهم أن تحببهم به . وكنت مسروراً لأن النور والقوة والتماء في تلك العقيدة بدت قريبة جداً حيال ناظري كهذه الجبال بياضها وسوادها ، تسكاد تلمسها يدي .

بدأ حصاني يظلم ، وحافره يحدث طقطقة مع خطوه ، وإذا النمل الحديدي قد تفلتت وأضحت معلقة بمسارين فقط ؛ فسألت الأفغاني الذي كان يرافقني : « هل

(١) انظر « السامون » س ٦١ من العدد الثاني من السنة الثالثة — نهاية مقال الطريق إلى مكة .

من قرية قريبة نجد فيها حداداً؟» فقال: «إن قرية ده زسكي فيها حداد، وهي دون فرسخ من هنا، وهاكم الهزراجات له قلمة هناك.»

وهكذا توجهنا إلى ده زسكي فوق الثلوج الناصعة في بطاء حتى لا نتعب الحصان... كان الحاكم شاباً قصير القامة مرح الحيا، وكان أنيساً يُسرُّ بالضيف الغريب يزوره في وحدته في تلك القلعة المتواضعة. ومع أنه كان من أقرباء الملك أمان الله الأدين، إلا أنه كان من أشد الناس الذين قابلتهم في أفغانستان، من قبل ومن بعد، دماثة وتواضعاً؛ ولقد أصرَّ على بقائى عنده يومين.

في مساء اليوم الثاني جلسنا لعشاء باذخ كالعادة، ثم جاء لسامرتنا رجل من أهل القرية بأغاني ريفية ينشدها على أنغام طنبور ثلاثى الأوتار. كان يغنى بالباشتو، وهي لغة لم أعرفها، ولكن بعض الكلمات الفارسية التي استعملها طفرت حية في جنبات الغرفة الدفيئة المفروشة بالسجاد، بينما الجليد يلمح بريقه من خلال النوافذ.

إننى أذكر أن أنشودته كانت في قصة داود وقتاله جالوت - صراع العقيدة ضد القوة الفاشية - ومع أنى لم أستطع متابعة كلمات الأغنية تماماً، فإن موضوعها كان واضحاً لدى إذ بدأت نبراتها هادئة وادعة، ثم رقت في مطلع شاق من العاطفة إلى ذروة النهاية بصيحة الانتصار...

عند انتهاء الأنشودة أبدى الحاكم ملاحظته فقال: «كان داود صغيراً ولكن إيمانه عظيم...»

وهنا لم أستطع أن أكف نفسي أن أضيف: «وأنتم كثيرون ولكن إيمانكم قليل».

ونظر مضيقى إلى فى دهشة، فبادرت إلى توضيح ما عنيت إذ أخذت بسبب ما قلت بغير اختيارى، واتخذ إيضاحى شكل تيار من الأسئلة:

«ما الذى حدث حتى أضعتم أيها المسلمون ثقتكم بأنفسكم - تلك الثقة التي استطعتم بها مرة أن تنشروا عقيدتكم في أقل من مائة سنة من جزيرة العرب إلى المحيط الأطلسى غرباً، وشرقا حتى أعماق الصين - والآن تسلمون أنفسكم هكذا بسهولة

وضعف لأفكار الغرب وتقاليده . لماذا لا تستطيعون - أنتم الذين أمار أجدادكم الدنيا بالعلوم والفنون في زمن كانت فيه أوروبا غارقة في البربرية وموغة في الجهالة - أن تستميدوا الشجاعة التي تردكم إلى عقيدتكم الناهضة التألقة ؟ كيف أصبح أناتورك - ذلك المهرج التافه الذي يضكر أن يكون للإسلام شيء من القيمة - كيف أصبح لديكم أيها المسلمون شعار (النهضة الإسلامية) ؟ .

ظل مضيق صامتاً لا ينبس ، وقد بدأ الثلج في الخارج يتساقط ، وشمرت للمرة الثانية بتلك الموجة من الحزن والسرور التي شمرت بها أثناء إقبالى على ده زنى : لقد أحسست بالمجد الذي كان ، وبالمرّة التي غشيت هؤلاء الأبناء المتأخرين من حضارة عظيمة .

« أخبرنى ماذا جرى حتى أضحت عقيدة نبيكم بكل صفاتها وبساطتها مدفونة بين ركام نظرات الفقهاء المعقبة ومحاكماتهم ؟ ما الذى حدث حتى أصبح أمراؤكم والإقطاعيون فيكم يرتعون في الثراء والنمى بينما الكثير من إخوانهم المسلمين يعيشون فيما لا يوصف من فاقة وقذارة ، مع أن نبيكم قد علمكم أنه ليس المؤمن الذى يبيت شعباناً وجاره جائع إلى جنبه ؟ هل تستطيع أن تبين لى لماذا أرجعتم المرأة إلى المؤخرة فى حياتكم - مع أن النساء زمن النبي وصحابه قن بدور خطير فى حياة رجالهن ؟ كيف أمسى كثير منكم أيها المسلمون جاهلين ، والقليل من يعرف حتى القراءة والكتابة - مع أن نبيكم أعلن أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ؟ ؟

لم يزل مضيق يحملق بى دون كلام ، حتى بدأت أظن أن هذا الاندفاع منى قد ساء كثيراً . أما الرجل صاحب الطنبور ، فهو إذ لم يكن يعرف الفارسية بالقدر الذى يمكنه من فهم ما قلت ، نظر طويلاً فى دهشة لراى الغريب الذى كلم الحاكم بهذا القدر من الانفعال .

وأخيراً ضم الحاكم إليه أطراف عباة الصفرء من الغنى كأنما أحس بالبرد ، ثم همس قائلاً :

« لكن ... إنك مسلم ... »

فضحكت وقلت : « لا ، لست مسلماً ، ولكن اتفق لى أن أرى الشيء الكثير من الجلال فى الإسلام ، مما يجعلنى أحياناً أشعر بالأسى أن أرى الناس بفرطون فيه . . . وأرجوك عفواً إن كان كلامى جافياً ؛ فإننى لم أنكلم بدافع من العداة . »

ولكن مضيفى هز رأسه وقال : « لا ، إن الأمر كما قلت لك : إنك مسلم ، غير أنك لا تعلم ذلك من نفسك . . . لم لا تقول الآن ههنا : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتصبح مسلماً فى الواقع كما أنك مسلم فى سريرتك ؟ قلها يا أخى ، قلها الآن ، وسأذهب معك غداً إلى كابل وآخذك إلى الأمير ، فسيتلقاك بذراعيه كواحد مننا ، ولسوف يمنحك منازل وحدائق وماشية ، وسيحبك الجميع . قلها يا أخى . . . »

قلت له : « إننى إذا قلتها ، فإنما أقولها لأن تفكبرى قد استقر عليها ، لا طمعاً فى منازل الأمير وحدائقه . . . »

غير أن الحاكم أصر قائلاً : « لكنك فى الحقيقة تعرف عن الإسلام أكثر مما يعرف معظمنا بكثير . فأى شيء لم تفهمه بعد ؟ »

فأجبت : « ليس الأمر مسألة فهم . إنها قضية اقتناع : اقتناع بأن القرآن حقيقة كلام الله ، وليس مجرد عمل باهر من وضع عقلية بشرية عظيمة . . . »

ولكن كلمات صديقى الأفغانى لم تزايلنى فى الحقيقة خلال الأشهر التالية !..

عندما عدت إلى ألمانيا أوائل عام ١٩٢٦ ، استغرقت بلهفة شديدة فى دراسة الإسلام ، فترديد تأثرى بذلك الانسجام البكامن فيه من تعاليمه المثالية وإرشاداته العملية ؛ فبحسب ما جاء فى القرآن ، لم يدع الله الناس إلى اتباع أعمى ، ولكنه خاطب البصيرة والإدراك فيهم ؛ ولم يبدؤبارك وتعالى بعيداً عن واقع الإنسان . ولكنه أقرب إليه من جبل الوريد . إنه سبحانه لم يضع أى حد يفصل بين العقيدة والسلوك فى المجتمع ، وإنه - وهذه لعلها الأهم - لم يبدأ من القاعدة التى تسلم بأن الحياة محملة بصراع بين المادة والروح ، وأن الطريق إلى النور تتطلب تحرير الروح من

أغلال الجسد ؛ فنبت الحياة وإفناء النفس في أية صورة قد حاربها رسول الله بمثل قوله : « لا رهبانية في الإسلام » . إن حب البقاء في البشر لم يعتبره الإسلام غريزة إيجابية مشمرة وحسب ، ولكنه حباه بمظهر من القداسة إذ ربطه ببدا خلق أيضاً ؛ وإن من تعاليمه : ليس لك أيها الإنسان مجرد الحرية في أن توجه حياتك كلها للصالح العام ، ولكنك مجبر على أن تفعل ذلك .

أخذت صورة متكاملة عن الإسلام تبدو لي في تمام وتحدد إلى مدى أدهشني في بعض الأحيان . لقد كانت تتشكل تلك الصورة في أسلوب يكاد يوصف بأنه نوع من الانتشار^(١) العقلي — أي بدون أي مجهود قصدي من ناحيتي لتجميع وتنسيق الشذرات الكثيرة من المعارف التي صادفتها خلال السنوات الأربع السابقة . لقد رأيت أُمَامِي شيئاً كأنه البناء تام الصنعة ، كل عناصره تُرى متناسقة يكمل ويدعم كل منها الآخر ، دون زيادة عن المطلوب أو نقصان — توازن وتآلف يعطى الإنسان الشعور بأن كل شيء في مظهر الإسلام وفي مبادئه قد وضع « في مكانه الطبيعي » .

منذ ثلاثة عشر قرناً وقف رجل ينادي : « إنما أنا بشر ، ولكن الذي فطر هذا الكون قد أمرني أن أحمل رسالته إليكم . فحتى يتسنى لكم أن تعيشوا في تناسق مع الناموس الذي خلق الكون بموجبه ، أمرني أن أذكركم بوجوده ، وأنه على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ؛ وأن أضع أمامكم منهاجاً للسلوك . فإن تقبلتم تلك التذكيرة وهذا المنهاج فاتبعوني » هذا هو كنه بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد كان النظام الاجتماعي الذي عرضه من تلك البساطة التي لا تكون إلا مع العظمة الحقيقية ، إذ بدأ من المقدمة التي تسلم بأن بنى الإنسان كائنات بشرية لها حاجات بشرية ، وأن منعة الله فيهم تحتم عليهم العيش في جماعات ليتمكنوا من إشباع مطالبهم كلها جسمانية وخلقية وعقلية ؛ وبالاختصار فإن كلا منهم يعتمد على الآخر . إن استمرار رقي الفرد في المجال الروحي (الظاهرة الأساسية في جميع الديانات) تعتمد على مساعدة الناس له من حوله ، وتشجيعهم وحمايتهم — وهم بطبيعة الحال ينتظرون

(١) الانتشار : Osmosis ظاهرة تداخل السوائل التي يفصل بينها جسم ذو مسام .

• المترجم •

منه مثل ذلك لأنفسهم — هذه الحاجة المتبادلة بين الناس كانت السبب الذى جعل الديانة الإسلامية لا يمكن فصلها عن الاقتصاد والسياسة . إن تنظيم العلاقات العملية بين بنى الإنسان بحيث يلاقى كل فرد فى تكوين شخصيته أقل العقبات الممكنة وأكثر المشجعات — هذا التنظيم يبدو أن يكون دون غيره هو فكرة الإسلام عن وظيفة المجتمع الأصلية ، وهكذا فمن الطبيعى ألا يتعلق النظام الذى أعلنه النبي محمد فى أعوام بعثته الثلاثة والمشرين بالمسائل الروحية فقط ، ولكنه يضع هيكلًا لجميع أوجه النشاط الفردى والاجتماعى كذلك . ولقد تمهد هذا النظام فكرة صلاح الفرد ، ليس ذلك فقط ، بل تمهد فكرة المجتمع القويم الذى يعمد له ذلك الصلاح . وكذلك وضع الخطوط العريضة للجماعة السياسية — الخطوط العريضة فقط لأن تفاصيل المطالب السياسية عند الإنسان مرهونة بأوقاتها ، فهي متغيرة لذلك — كما وضع الموازين لحقوق الفرد وواجباته فى المجتمع وقد روعى فيها ظاهرة التطور التاريخى .

لقد تمهد التشريع الإسلامى الحياة فى جميع نواحيها ، الخلقية والجسمية ، والفردية والجماعية ؛ وكذلك قضايًا الجسد والعقل ، والشكليات الجنسية والاقتصادية ، كلها قد أخذت مكانها اللائق من تعاليم النبي إلى جانب مسائل التوحيد والعبادة ، وليس هناك شئ مما يتصل بالحياة يعد من التفاهة بحيث يستبعد عن مدار التفكير فى الدين الإسلامى — ليس حتى ما يعد من الأمور (الدنيوية) الصرفة كالتهجارة والموارث وحقوق الملكية وتملك الأراضي .

« البقية فى العدد القادم »

من أخبار حكومة الإسلام

نزل عمر بن عبد العزيز ديرًا فمرت به أطباق فقال : ماهذه ؟ قيل له : صاحب الدير يطعم الناس ، فجاءه بطبق فيه فستق ولوز ، فقال عمر : تلك الأطباق مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : خذ طعامك .

خُطُوطٌ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَحِكْمَةِ

لِلأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ صَبْحِي مَحْمَدَانِي

المُحَامِي بِالْإِسْتِثْنَاءِ بِبَيْرُوتَ

تَوَاطُؤُهُ :

لَا بُدَّ لِلْبَاحِثِ فِي أَيْةِ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الدِّرَاسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَنْ يَتَنَبَّهُ إِلَى أَمْرَيْنِ خَطِيرَيْنِ : أَوَّلُهُمَا أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَبَادِيِ التَّعَالِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ وَبَيْنَ أَعْمَالِ بَعْضِ رِجَالِ السِّيَاسَةِ أَوْ بَعْضِ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَإِنْ عَدِمَ التَّفْرِيقُ قَدْ أَوْقَعَ فِي الْخَطَأِ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ كَتَبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، إِذْ أَنَّهُمْ صَوَّرُوا الْإِسْلَامَ كَمَا وَجَدُوهُ فِي بَعْضِ عَصُورِ التَّارِيخِ لَا كَمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ . وَنَحْنُ هَهُنَا نَحْصُرُ بَحْثَنَا فِي التَّعَالِمِ الْأَصْلِيَّةِ ، الَّتِي تَصُورُ وَحْدَهَا حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ كُلِّ تَفْسِيرٍ أَوْ تَطْبِيقٍ مُسْتَمَدٍّ مِنَ الْمَاضِي أَوْ الْحَاضِرِ الْخَالِفِ لِهَذِهِ التَّعَالِمِ .

وَالْأَمْرُ الثَّانِي الَّذِي يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ إِلَيْهِ ، هُوَ أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينٌ وَشَرِيعَةٌ . وَأَنَّ هَاتَيْنِ النَّاحِيَتَيْنِ مِنَ الْإِسْلَامِ مُتَشَابِهَتَانِ تَشَابُهًا مُتَنَاسِقًا كَانَ سَبَبًا فِي التَّأثيرِ الْمُتَبَادِلِ بَيْنَ مَبَادِيِ الدِّينِ الرُّوحِيَّةِ وَمَبَادِيِ الشَّرِيعَةِ الْعَمَلِيَّةِ ، حَتَّى صَحَّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ شَرِيعَةٌ دِينِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ دِينٌ اجْتِمَاعِيٌّ عَمَلِيٌّ .

وَأَوَّلُ مَا نَلْمُسُهُ مِنْ تَشَابُهَاتِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ هُوَ وَحْدَةُ الْمَصَادِرِ الَّتِي تُسْتَمَدُّ مِنْهَا هَذِهِ الْأَحْكَامُ جَمِيعًا . فَمَصَادِرُ التَّشْرِيعِ وَالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ عَدِيدَةٌ : أَمُّهُمَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ سُنَّةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْمُسْتَمَدَّةُ مِنْ أَقْوَالِهِ (الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ) وَمِنْ أَعْمَالِهِ وَتَقَارِيرِهِ . وَيَأْتِي بَعْدَ هَذَيْنِ الْمَصْدَرَيْنِ الْأَصْلِيَيْنِ مَصْدَرَانِ آخَرَانِ فَرَعِيَانِ : وَهُمَا الْإِجْمَاعُ وَالْقِيَاسُ . فَالْأَوَّلُ هُوَ اتِّفَاقُ جَمِيعِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ ، وَالثَّانِي هُوَ تَطْبِيقُ حُكْمٍ مَنْصُوصٍ عَلَيْهِ فِي مَسْأَلَةٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَسْأَلَةٍ أُخْرَى شَبِيهَةٍ ، بِدَاعِيٍّ وَخِدْعَةٍ الْعِلَّةِ فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ . وَقَدْ زَادَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ أُدْلَةً أَوْ مَصَادِرَ أُخْرَى ؛ كَدَلِيلِ الْإِسْتِحْسَانِ فِي الْمَذْهَبِ الْحَنْفِيِّ ، وَدَلِيلِ الْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ . وَهَذَانِ الْمَصْدَرَانِ

مرجعهما إلى مبادئ الإنصاف والعدل المطلق ، والمصلحة العامة ، والتيسير على الناس .

وإن درس هذه المصادر واستنباط الأحكام الشرعية منها كان يحصل بواسطة ما يسمونه « الاجتهاد » : أى استفراغ الوسع فى طلب العلم بالأحكام من مصادرها الأصولية . فكان الاجتهاد عاملاً ضرورياً فى تاريخ نشوء الشرع .

وكان المجتهدون يعملون بالنص إذا وُجد ، وبأخذون بالرأى عند عدمه ، فيقيسون الأمور بأشباهها تارة ، ويستحسنون أو يستصلحون تارة أخرى . وقد نشأ من ذلك مذاهب متعددة ، أهمها المذاهب السنية الأربعة : الحنفى والمالكي والشافعى والحنبل ، والمذاهب الشيعية الثلاثة : الإمامى والزيدى والإسماعيلى .

وقد ازدهر علم الشريعة كثيراً فى العصر العباسى الذهبى ولكن هذا الازدهار تدرج فى الاضمحلال ، منذ أواخر الدولة العباسية . وأجمع الفقهاء السنيون على سد باب الاجتهاد خوفاً من الاضطهاد ، وعلى الاكتفاء بالمذاهب الأربعة المعروفة . ثم تقهقرت المدنية العربية شيئاً فشيئاً ، وأصابها الجور فى جميع نواحيها ؛ فاستتبع ذلك تفشى التقليد ، وتوقف الاجتهاد فى الفقه ، وكثرة البدع المبنية على الوهم والجهل ، وانتشار الخرافات السخيفة . وبقي الأمر كذلك حتى القرن التاسع عشر ، إذ قامت بعض الحركات الإصلاحية ، بقيادة أمثال محمد بن عبد الوهاب والشيخ جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، يدعون إلى نبذ التقليد وعدم التقيد باجتهاد مذهب معين ، ويقولون بوجوب الرجوع إلى مصادر الشريعة الأصلية ، وفهم روحها الحقيقية والسير بها فى ميدان التقدم والمدن .

الإسلام والمدنية :

ولابد من التنويه بأن الشريعة الإسلامية شريعة تقدمية ، تسير كل مدنية وكل عصر وكل مكان . فمن مبادئها الأساسية أنه لا ينسكركم تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال .

وإن هذه القاعدة تطبق بوجه خاص في الأحكام الاجتهادية الفرعية^(١).

وإن الشريعة الإسلامية ، كما نرى ، لها مصادرهما الأصلية ولها تاريخها الخاص ؛ فهي شريعة قائمة بذاتها غير منقولة عن غيرها ، وهي مستقلة تمام الاستقلال ، لا سيما عن الشريعة الرومانية ، كما أوضحنا في غير هذا الموضع^(٢) . وهذا ما أقره المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد في لاهاي سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٧ ، وما أثبتته مندوبو الدول الإسلامية في مذكرتهم المقدمة إلى جمعية الأمم في أيلول - سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وفي مذكرتهم المقدمة إلى مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد في سان فرانسيسكو بتاريخ ١٧ نيسان - أبريل سنة ١٩٤٥^(٣) .

وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية في تلك المؤتمرات بأنها شريعة مستقلة ، وأنها مظهر من مظاهر المدنية الكبرى ، بالمعنى المقصود في المادة التاسعة من نظام المحكمة الدائمة للعدل الدولي .

وللإسلام ، الذي يجمع اليوم تحت لوائه حوالى خمسمائة مليون من البشر ، حضارة عريقة ، امتدت إبان القرن الثانى عشر من الصين إلى أسبانيا ، ومن البحر الأسود إلى الأوقيانوس الهندي . وقد ولدت الحضارة الإسلامية الشعوب في البلاد التي انتشرت فيها في بوتقة الإيمان والعلم ؛ فقصت على حواجز العصبية والأجناس والألوان ، وحفظت الحضارات القديمة ، لا سيما اليونانية ، ثم أظهرتها بمظهر جديد ، ونقلتها مع الحضارة الإسلامية إلى الهند وأوروبا عن طريق أسبانيا وإيطاليا : فكان للإسلام بنتيجة ذلك فضل لا ينكر في ميدان المدنية العالمية ، بما قدمه إليها من تجارة وصناعة وعلوم وآداب . ولا يزال أثر ذلك ظاهرا إلى اليوم

(١) انظر مؤلف الكتاب « فلسفة التشريع في الإسلام » بالعربية ، بيروت ، ١٩٤٨ ، الطبعة الثانية من ١٤٩ وما بعدها (وهو الآن قيد الترجمة إلى الإنكليزية في واشنطن وإلى الأوردية في لاهور) ، ومحاضراته « الشريعة الإسلامية والمجتمع الحديث » في مؤتمر الدراسات العربية في الجامعة الأميركية من العرب والحضارة الحديثة ، بيروت ١٩٥١ .

(٢) فلسفة التشريع ، ص ١٨٧ - ١٩٨ .

(٣) الفقرة الفصلية لجمعية التشريع المقارن لسنة ١٩٣٧ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ووثائق مؤتمر سان فرانسيسكو ، اللجنة الرابعة ، اللجنة الفرعية الأولى رقم ٥١ تاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٥ .

"Commission 4, Committee 1, Jurist 51"

في لثات أوروبا، التي احتفظت بما اقتبسته من العرب من حضارة ومن كلمات عربية من اللغة الأصلية لتلك الحضارة .

ومن أهم أسس الحضارة الإسلامية أنها أقرت مبادئ الديمقراطية^(١) الحقيقة . ونحن نوجز ههنا بعض مظاهر هذه الديمقراطية في تطبيقها على الدولة الإسلامية .

الدولة الإسلامية :

كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام يعيشون عيشا غالبة البداوة ، وكان مجتمعهم مؤلفا من قبائل مشتتة ، لا يربطها سلطان مركزي ، وكان أساس الحياة الاجتماعية القبلية والمضيقية القبلية .

ولما ظهر الإسلام ، توحد المسلمون تحت لواء الدين وتحت راية النبوة ، وكان دستورهم الأساسي القرآن الكريم والسنة النبوية . ثم لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم نشأت فكرة الخلافة ، وتأسست الدولة الإسلامية على أثر الفتوحات العديدة ؛ فتنظم الجيش ورتبت الدواوين وفرضت المكوس والضرائب ، وأصبحت الدولة ذات سيادة . وهكذا ، كما قال ابن خلدون ، صار « الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحجب الأموال ويبيع البعوث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يده قاهرة »^(٢) .

ومعنى الخلافة ، كما قال الفقهاء المسلمون ، خلافة النبي صلى الله عليه وسلم في أمته ، لا خلافة الله على الأرض . فإذا ، الخلافة الإسلامية تختلف عن مبدأ الحكم المستند إلى الحق الإلهي ، الذي كان يجاهر به بعض ملوك الغرب في القرون الوسطى . لذا قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) :

(١) لا شك في أن الأستاذ الدكتور صبحي يريد بهذه الكلمات أن يرجع إلى شريعة الإسلام ما سبق له من الفضل في كل ما عرف الناس من بعد من طرائق الحكم ومصطلحات السياسة ، وإن كنا نؤثر دائما أن تتميز أحكام الإسلام بذاتها ، وأن تعرف باسمها ، وأن يعود لكمة الإسلام في الأذهان والنفوس مدلولها الواسع في العبادة والسياسة وما بينهما ، فنبرتها بذلك من مصطلحات لا تعنى دائما معناها وقد تفهم على غير وجهها « المسلمون »

(٢) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة البهية ، بمصر ، س ١٦٣

« لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم »^(١) . وقد خلفه الفاروق عمر بن الخطاب ، وكان أول خليفة لقب بأمر المؤمنين .

ولم تكن الخلافة في أول عهدا وراثية ، بل كانت انتخابية تجري بإحدى طريقتين : الأولى طريقة الانتخاب من قبيل أهل المقد والحل ، كما حصل في انتخاب أبي بكر الصديق . والطريقة الثانية هي انعقاد الإمامة بمهد من قبله : أي أن يختار الخليفة من يخلفه بمد استشارة أصحابه ، كما فعل أبو بكر عندما اختار عمر بن الخطاب ، واستحسن المسلمون هذا الانتخاب^(٢) .

وكان الانتخاب في كلا الطريقتين يتأكد بالبيعة . ومعناها أن تعاهد الرعية الخليفة على الطاعة والتسليم له بالولاية عليهم . وأن هذه الولاية كما نرى ، انتخابية مبنية على عهد البايعة ، ومعنى ذلك بالاصطلاح الحديث أن سيادة الدولة مصدرها إرادة الشعب والعقد بينهم وبين صاحب الولاية ؛ فالخليفة إذن حاكم مدني ، تنصبه الأمة وتخلعه هي وفاقاً للمصلحة العامة^(٣) .

وإن الخليفة أو الإمام ، في تنفيذ ولايته وما يتفرع عنها ، مقيد بشروط تجمل من نظام الحكم الإسلامي نظاماً دستورياً شورياً . وهذه الشروط ثلاثة وهي :

أولاً : على الخليفة أن يتقيد بدستور ديني ، وهو الشريعة الإسلامية ؛ فإذا لم يتقيد بذلك ، لم يكن له على الرعية حق الطاعة ؛ وبمعناه جاء في الحديث الشريف : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »^(٤) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »^(٥) .

(١) الأحكام السلطانية ، ص ١٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٣) الإسلام والنصيرية ، ص ٦٤ . راجع أيضاً كتاب الخلافة أو الإمامة العظمى للسيد محمد رشيد رضا .

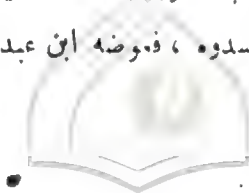
(٤) روى في الصحيحين ، البخاري (وشرحه العيني ج ١٧ ص ٣١٤ وج ١٤ ص ٢٢١) ومسلم (ج ٦ ص ١٥) .

(٥) رواه السيوطي في الجامع الصغير (رقم ٩٩٠٣) ، نقلاً عن أحمد في مسنده وعن الحاكم في مستدركه .

ثانياً : إن الحكم الإسلامي لا يقبل الاستبداد ؛ فهو مبني على مبدأ الشورى وفقاً للنص القرآني : « وشاورهم في الأمر »^(١) ، « وأمرهم شورى بينهم »^(٢) ، ووفقاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة من بعده .

ثالثاً : إن الولاية العامة التي يمارسها الخليفة أو الإمام ، توجب تصرفه على الرعية بما فيه مصلحتهم ؛ لذا كانت هذه الولاية مقيدة بالمصاحبة . فقبل في القواعد الشرعية السككية إن « تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصاحبة »^(٣) . وهي قاعدة مبنية على الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته »^(٤)

وقد روى أبو يوسف عن عمر بن الخطاب أنه قال : « أنا ومالككم كوليّ اليتيم » ، أي أن الخليفة مسئول عن مال الرعية كمسئولية الولي عن أموال اليتيم . وروى عن أبي بكر وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يعوضان من بيت المال الضرر الناتج عن أعمال الموظف . مثاله : أتى رجل مرة الخليفة عمر بن عبد العزيز وقال له : « يا أمير المؤمنين زرعت زرعاً فمر به جيش من أهل الشام فأفسدوه ، ففوضه ابن عبد العزيز عشرة آلاف درهم »^(٥) .



هذه هي مبادئ الدولة الإسلامية الحقيقية .

غير أن هذه المبادئ ، التي طبقت في عهد الخلفاء الراشدين ، لم تبق كذلك في عهد الخلافتين الأموية والعباسية ، ولا في عهد الخلافة العثمانية . بل انقلبت آئذ وراثية استبدادية ، وأصبحت ملكية مطلقة بالمعنى الحديث ، ما عدا بعض المستثنيات بخلافة عمر بن عبد العزيز الأموي ، وآخر عهد الخلافة العثمانية .

والمهم أن نستنتج من ذلك ، أن الإسلام أوجب أن يكون بناء الدولة على الأسس الديمقراطية ، وإن كان هذا الواجب لم ينفذ في جميع عصور التاريخ الإسلامي

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) الشورى : ٣٨ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٣ ، ولابن نجيم ص ٤٩

(٤) رواه البخاري . راجع شرحه للابن ج ٦ ، ص ١٨٩

(٥) كتاب الحراج ، بولاق ، ص ٦٧ و ٦٨

سُبْحَاتُ فِكْرٍ

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

الضغط الأخلاقى

معلوم فى علم الطبيعة أن للهواء ثقلا على الأشياء التى فيه . وهذا الثقل بقدر
بأحمال ثقيلة يحملها كل إنسان .

والإنسان يعيش غير مُحسّ هذا الثقل بل غير عالم به . وفى هذا الثقل حياته .
فإن رفع عنه مات ، وإن خف عنه تألم واختل جسمه ، على مقدار هذه الخفة ، حتى
تبلغ الخفة حدًا قاتلا .

كذلك يعيش الإنسان تحت ضغط من قوانين الأخلاق والآداب والمعادن
فيه استقامة أموره ، واثلافه فى جماعته ، والتزام أمور الجماعة وسيرها فى سبيلها
قصداً على هدى .

ولا يخلص من هذا الضغط إلا مصلح أو فيلسوف يحمل نفسه من فلسفته
ما يكافئ هذا الضغط أو ما هو أشد منه .

فمن يستخف بقوانين الجماعات وأخلاقها وآدابها من دعاة الحرية ، لا يعرفون
ما يدعون إليه ، ولا يقدرون آثار دعوتهم فى الإخلال بنظام الجماعة ، وسوقها إلى
الفوضى . وهم فى دعوتهم على غير تثبيت ، كمن يعمل على رفع الضغط الجوى عن
الناس ليريحهم من ثقله .

ألا إن تبعة الكتّاب والمعلمين عظيمة ولكن بعض الناس يمشون ويقولون
وينقلون وهم لا يشعرون .

بقاء أو فناء

إذا مضى من عمر الإنسان ساعة فهل بقي ساعة أو فنى ساعة ؟ وهل زاد عمره ساعة أو نقص ساعة ؟ لعلك تقول زاد ماضيه ونقص مستقبله ؛ إن نظرت إلى الماضي وحده والمستقبل وحده . فإن نظرت إلى عمر الإنسان كله ماضيه وحاضره ومستقبله فهل تسمى مضى ساعة بقاء أو فناء ، وتدعوه زيادة أو نقصاً . نظر إلى هذا أبو الطيب إذ قال :

مُشبّ الذى يبكى الشباب مُشبيه فكيف توقيه وبانيه هادمه

إن البقاء والفناء وجهان لحقيقة واحدة هي الكون (الوجود) فن شاء نظر إلى هذا الوجه ومن شاء . نظر إلى ذاك . من شاء قال إنه التغير والفناء ومن شاء قال إنه الاستمرار والبقاء . من شاء أن يصل نفسه بالحقائق الواسعة الباقية استطاع أن يرى الكون كله بقاء ، ومن نظر إلى المضى والتغير وتعاقب الأشياء وتبدل الأشكال رأى الزمان كله فناء .

فصل نفسك ما استطعت بالحقائق الخالدة . وانفذ من الظواهر المتغيرة الفانية إلى البواطن الثابتة الباقية . صل نفسك بحقيقة الحقائق الذى لا يحده أول ولا آخر ، ولا يحيط به زمان ولا مكان ، لعلك تثبت على المضى الذى يبين فيه الفناء ، فتشعر بالدوام الذى يتجلى فيه البقاء . صل نفسك بحقيقة الحقائق ، لا يحده زمان ولا مكان وكأن ساعتك صلة آلاف سنين مضت بآلاف بقيت ، بل صلة الأزل بالأبد ، صلة ما لا يبتدى بما لا ينتهى .

برنامجنا الاقتصادي

للاستاذ محمود أبو السمود

مستشار بنك الدولة بباكستان

(٤)

معالجة مشاكل الأرض والأموال الثابتة :

أما الأرض الزراعية فهي عقار له حكمه الخاص إذ أن القوة الإنبائية من عمل الله وخاقه وليس للبشر في ذلك فضل . من أجل هذا قررت الشريعة وجوب استغلال الأرض بما فيه فائدة المجتمع ، وليس لمالك الأرض أن يحبسها إذا كانت الجاعة تحتاجها . فإذا زرعها بنفسه فما يخرج منها فهو له بعد أن يدفع زكاة الزرع ؛ وهي ضريبة يقررها الإسلام على الخارج من الأرض ، فإن لم يتمكن من زراعتها بنفسه وأسلمها إلى غيره فليس له إلا حق الملك والرقبة دون مقابل ، أعنى أنه لا يحل له أن يأخذ كراء لأرضه ، وعليه إذا أراد أن ينال حصته من الثمار أن ينفق على زراعتها ، وتكون حصته في الناتج مناسبة لما أنفق ؛ فلو كانت تكاليف الزرع كله عشرة وحدات واشترى هو البذر والسبغ بخمس وحدات فله بذلك نصف الناتج ، وليس للأرض جزاء فهي من قدرة الله وصنمه ، وبمعنى آخر لا كراء في الأرض ولا إيجار^(١).

وواضح أن الأرض الزراعية تختلف عن سائر العقارات فهي لا تستهلك بزراعتها بل عليها ترداد خصوبة ، فإذا أهملت قلت خصوبتها . ولو فرضنا أنها لا تفقد شيئاً من خصوبتها ولا ترداد فإن المامل الأساسي أنها لا تفنى بالاستخدام ، والعامل الإنبائي ليس من صنع البشر فليس من الحق في شيء أن ينال صاحب الأرض شيئاً

(١) انظرنا للأستاذ الكاتب في أعداد السنة الأولى من « المسلمون » سلسلة مقالات بعنوان « استغلال الأرض في الإسلام » بين فيها وجهة النظر في استغلال الأرض المخصصة هنا . وقد وردتنا مقالة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحامد الحموي تبين وجهة نظر أخرى سننشرها بعد استكمال مقالات هذه السلسلة إن شاء الله .

ليس من كسبه ولا نتيجة عمله . قد يعترض بأن من الناس من ينفق الكثير لاستصلاح أرض ما فتصير أغنى من غيرها وأكثر إنتاجاً ، فإن تركها لغيره يزرعها فمن حقه أن ينال فائدة وجزء نظير ما أنفق عليها . وهذا اعتراض وجيه والرد عليه هو أن الذى يمكنه استصلاح الأرض يمكنه أن يزرعها وليس هناك من داع لتركها لغير يزرعها له نظير جمل ثابت ، كما أنه لو فرضنا هلاك المحصول أو أغلبه نتيجة كارثة طبيعية كاجتياح جراد أو زول صقيع أو فتك حشرة ، فإن خصب الأرض لن يغنى زارعها شيئاً ، وسيخسر المسكين عمله وما أنفق على الأرض من سبخ وبذر ورى .. الخ ، وفوق كل هذا يلتزم بدفع مبالغ معين للمالك كإيجار . إن ما أنفقه المستأجر تنتفع به الأرض ويبقى بها ، فسبخها فيها وفلاحها تزيد من خصوبتها ، وفوق هذا يأخذ صاحبها إيجاراً بينما الزارع يخاطر وعليه الغرم أبداً والمالك له الغنم دائماً . وليس هذا من شرعة الحق فى شيء . فإن قيل يحق لصاحب الأرض أن يأخذ نسبة الثلث أو الربع مثلاً نظير أرضه قلنا إن ذلك لا يغير من الموقف شيئاً إذ سينال المالك الغنم ولن يناله غرم أبداً . ولو تصورنا أن الرجل الفالح أنفق مائة وحدة من وحدات الإنتاج فى تلك الأرض وأن الناتج لم يتجاوز الخمسين مثلاً ، نتيجة وباء أو كارثة طبيعية فبأنى حق ينال المالك ثلث الخمسين أو ربمها ؟ .

هامبدآن إذن يمحآن انتفاء إعطاء أجر لصاحب الأرض نظير انتفاع الفلاح بأرضه : مبدأ الإنبات الطبيعى ومبدأ الغنم بالغرْم . وإنى لأحسب أن هناك وجه شبه كبير بين كراء الأرض بجمل ثابت وإقراض المال بفائدة ثابتة ؛ كلاهما غير جائز ، بل إن جازت الفائدة لاحتمال ضياع رأس المال فلن يجوز الكراء لانعدام مثل هذا الاحتمال . هذا من الناحية الاقتصادية البحتة ، رأماً من حيث مصلحة المجتمع فإن الإسلام لا يرضى لفرد يعيش فى مجتمعه أن يكون عالة على غيره ، بل هو يحرص على أن يعمل كل فرد بنفسه ، وأن يأكل من عمل يديه . فالاعتراف بمبدأ الكراء اعتراف بمبدأ وجود طبقة لاتعمل ، وتعيش على مآثره من ثروات تتركها فى يد غيرها من الأفراد يستثمرونها على مسئوليتهم ، ويقنمون هم بدخل ثابت غير منقوص .

وواضح أن هذا الوضع لا ينطبق على المساكن والبناني ، فهذه رؤوس أموال ثابتة تستهلك على آمد طويلة ولكنها تحتاج دواما إلى رعاية ، وسواء سُكن المنزل أم لم يسكن فهو يفنى يوما بعد يوم وسيأتي الوقت إن عاجلا أو آجلا الذي يندرس فيه المبني ويصبح أثرًا بعد عين . ثم إن المسكن عبارة عن خلق منفعة يستحدثها الباني أو المالك وينفق عليها من مدخراته ؛ فإذا تهدم المنزل بحكم البلى اندثر المال المستثمر فيه وانعدم ؛ فالإيجار هنا يعادل جزءاً من رأس المال المستثمر ، وقد يزيد عليه ما دامت المساكن الموجودة لا تفي بحاجة السكان ، وما دام النظام الاقتصادي الحاضر قائما على أسسه النقدية التي تحد من نمو رأس المال . وسنرى فيما بعد أن تطبيق النظام الإسلامي لن يلبث أن يجعل إيجار المساكن معادلاً لمجموع المال المستثمر فيها زائدا نفقة الصيانة لا غير .

التطبيق العملي :

عرضنا فيما سبق موجزا خاطفاً للأوضاع الاقتصادية الراهنة وللنظرة الإسلامية من ناحيتها العلمية والفلسفية ، ونحن نبين فيما يلي كيف يمكن أن تطبق هذه النظريات شيئاً فشيئاً حتى تفي أحسن الثمرات . ونذكر القارئ بهذه المناسبة أن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ، وأن تطبيق بعض نظرياته دون البعض ليس بالممكن ، لذلك فلن تطبق النظرية الاقتصادية هنا بأكملها ما لم تطبق النظريات الإسلامية في سائر نواحي النشاط البشري . وأبسط مثال يُضرب لتوضيح هذه الفكرة هو أن الربا قد حرم تشريعا واقتصادا . فالتم تطبيق الشريعة الإسلامية ويصدر الحكم أمره الذي يعاقب على الربا وترفض المحاكم دعاوى الربا كلها فإن النظرية الاقتصادية وحدها ستصطدم بعقبات كثيرة ، بل الأرجح أن يظل الربا قائما بعض الوقت حتى تتدخل الدولة فتحرمه .

نظرية الاقتصاد الطبيعي الحر :

أشرنا فيما سبق إلى ما قال به سيلفيوجيزيل من ضرورة اعتبار النقد كسائر السلع تنسحب عليه سنة الهلاك ، وقلنا إن هذه الفكرة مطابقة لما جاء به الإسلام من قبله . والفكرتان مشتقتان من سنة الوجود وناموس الحياة ونظامه ، وهما في الواقع متطابقتان

فى المبدأ وهو ضرورة فرض ضريبة اختزان على النقد باعتباره ممثلاً للسلع والخدمات ولا يصح بحال أن يحتجز إلا بشرطه ، فإذا كان من معه نقود يعلم تماماً أنه سيدفع عنها ضريبة إذا هو أبقاها معه جزاء سوء استعماله للنقد وإضراره بالغير إذ هو منع عن بعض المنتجين بيع منتجاتهم ، إذا علم من معه نقد هذه الحقيقة فسيميل جهده للتخلص من النقد وذلك بإنفاقه فى أحد وجهين : إما لإشباع رغبة مباشرة ، أى فى شراء سلامة أو خدمة ، وإما فى استثمار آجل . ولا شك أن كلا الأمرين يؤدى إلى سرعة تداول النقد وضمان تصريف المنتجات . . . وبكفى أن نتخيل حرص كل فرد على إنفاق مامعه والتصرف فيه لندرك مدى ما سيصيب القوى الإنتاجية من نشاط ، ومقدار ماسينها على المستثمرين من رأس مال خال من كل ربا . واضح جداً أن هذه الفكرة إذا طبقت ستؤدى حتماً إلى زيادة الطلب على السلع والخدمات ومعنى هذا زيادة الطلب على العامل وارتفاع أجره حقيقياً أم اسمياً (الأجر الاسمى هو مقدار النقود التى يتعاطاها العامل نظير عمله ، والأجر الحقيقى هو مقدار ما تشتريه هذه النقود من سلع وخدمات) . ولا شك أن هذه الدفعة من الرواج سترتفع بربح المنتجين ، وبمجرد ارتفاع الربح مع حرص أصحاب النقود الفائضة على استثمارها سيؤدى إلى منافسة شديدة بين المكافلين Entrepreneurs لا يلبث أن يهبط بمستوى الربح بعد سنين قليلة وزمن قصير لا يتعدى بضع سنين (تتوقف المدة على وضعية النظام الاقتصادى فى كل بلد على حدة ، ففي البلاد الزراعية التى بدأت فى تصنيع اقتصادها يحتاج الأمر إلى وقت طويل إذا كانت الغاية الاكتفاء الذاتى ويقصر إذا انصرف أكثر المجهود إلى الرقى بالصناعة والتخصص فيها ومبادلتها مع البلاد الأخرى بالمواد المصنوعة . أما فى البلاد الصناعية فتكون المدة أقصر بطبيعة الحال نظراً إلى يسر إنتاج الآلة المنتجة) .

وحيث أن كل إنتاج جديد سيؤدى إلى موجة جديدة من الرخاء فإن الخوف من حدوث أزمات انتكاسية سيكون من الضعف بحيث يمكن إهماله . لا شك أنه ستكون هناك حالة من عدم الاستقرار أو التخلخل Dislocation^(١) فى بادى

(١) يكون التخلخل فى حالة إفلاس بعض المنتجين وما يقع ذلك من تشريد بعض العمال التخصصيين كما يحدث فى حالة الاختراعات الجديدة التى قد تنفضى على بعض الصناعات القديمة بحكم عامل المنافسة وزيادة الكفاية الفنية فى الإنتاج . كما قد يؤدى الربح فى بادى الأمر إلى إغراء الكثيرين بالإنتاج فى فروع معينة دون أن يكون هناك طلب حقيقى عليها ، ولن يغير هذا كثيراً لسهولة التحكم فى كمية النقود كما سنفصره فيما يلى .

الأمر ، ولكن ذلك لن يطول إذ سيستحوذ على الأفراد شعور بالطمأنينة يزداد تدريجياً بتطبيق مبادئ الإسلام التكافلية وبنمو الدولة الإسلامية حيث تضمن الدولة للأفراد المأكل والملبس والسكن ، ووسائل النقل والتعليم وأداة الدفاع عن النفس .
وحينما تتوافر هذه الضروريات سيكون ممّ الفرد استثمار فائضه فيما يعود عليه بالنفع ، ولن تكون مشكلة التقاعد كبيرة مما يدعو إلى التوسعة في الإنفاق ، وهذا بدوره يؤدي إلى توسع جديد في الإنتاج لن يلبث أن يعود على العامل بفائدة من وجهين :
الأول ارتفاع الأجر الحقيقي ، والثاني زيادة الطلب على العمل لمقابلة الطلب المتزايد على السلع .

أما كيف يتم إجبار الناس على الإنفاق من الناحية التطبيقية فإن اقتراح جيزيل فيها نعتقد يحقق الفكرة الإسلامية على أحسن وجه ، ويحل المشكلة أرضى حل .
والاقتراح من البساطة بكان ، وقد طبق فعلا هذا النظام في إحدى بلاد النمسا فلاق نجاحاً منقطع النظير . والفكرة هي أن تلغى جميع النقود المعدنية اللهم إلا النقود المساعدة ذات القيم الصغيرة (مثلاً تلغى جميع النقود المعدنية من فئة القرشين فأكثر وتفرض ضريبة على جميع النقود الورقية (من فئة خمسة قروش فأكثر مثلاً) مقدارها على سبيل المثال ١٢٪ في السنة . ويطبع على ظهر كل ورقة نقدية اثنا عشر مربعاً مرقوماً ، ويجبر حامل الورقة على إلصاق ورقة الضريبة في المربع المرقوم في أول كل شهر . وتسحب الورقة من التداول آخر كل عام . ففي أول مارس مثلاً يجب أن يكون ملصقاً على ظهر ورقة نقدية من فئة الجنيه المصرى ثلاث ورقات ضريبة قيمتها خمسة عشر ملياً وبمير هذه الورقة الضريبة لا يقبل الجنيه في التداول رسمياً .

ومعنى هذا أن كل من يكسب من عمله جنيتها فيسبحاول جهده التخلص منه حتى لا يدفع هذه الضريبة الغالية . فأما الفقير فإنه لن يتأذى فهو ينفق أكثر ماله إن لم ينفقه كله ، ولن يجد أية غضاضة في هذه الضريبة الجديدة إذ لا يكاد يحس بها .
أما الميسور فإنه سيلزم أمرين : أولهما أنه سينفق عن سعة ، وثانيهما أنه سيبحث أبداً عن مجال يستثمر فيه ما فاض من ماله !!

الاستثمار الجديد :

من أجل ذلك فهذا النظام لا يتم إلا بإنشاء مؤسسة مركزية تقوم عليها الدولة ، تقبل من الناس فائض أموالهم وتستثمره لهم أو تبقى كوديعة وتحمل الدولة الضريبة ، أو إن شئت فقل تمنح المستثمر لديها من الضريبة . وواضح أنه لا ضرر من ذلك بل فيه ربح محقق ، إذ المشهور أنه في حالة البنوك الإيداعية أى حيث يودع الناس أموالهم في المصارف المعروفة يحتجز المصرف حوالى ١٠ - ١٢ ٪ من مجموع الودائع في شكل نقود سائلة Liquid Money أو Cash ويستثمر الباقي لحسابه وهو يجنى من وراء ذلك ربحاً وفيراً . ولهذا فإن الإيداع لدى « صندوق الاستثمار » سيعود بربح محقق على الدولة تغطى الضريبة النقدية إن لم ترد عليها ، ويمكن لكل شخص أن يودع في هذا الصندوق على شكلين : إما أن يطلب استثمار ماله ويمطى شهادة بذلك على غرار ما تفعل شركات الاستثمار الأمريكية Investment Corporation وإما أن يبقى المال في شكل وديعة جارية : أى له حق سحبها حينما يريد دون أن يتحمل خسارة في القيمة الاسمية لماله . وفي الحالة الأولى يستثمر الصندوق الودائع الثابتة في شراء أسهم مختلف الشركات الإنتاجية ، ثم يوزع على المودعين متوسط الربح الذى يحصل عليه كل بنسبة ما ساهم به وذلك بعد احتجاز مصروفات الصندوق . وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن الذى يدخر مالا بقصد استثماره لن يحتجز المال لديه بل إن هذا المال سيخرج في الحال عن طريق صندوق الاستثمار ، ويرجع إلى التداول في شكل أجور للعمال أو ثمن آلات إنتاجية أخرى الخ . وأن الربح الذى سيوزع غير معروف ولا ثابت وأنه سيتناقص تدريجياً مع تناقص الرغبة في التوسع الإنتاجى . ذلك أن شدة الطلب التى ستنشأ مباشرة عقب تطبيق هذه الفكرة ستغرى الكثيرين بالنزول في حلبة الإنتاج ، خصوصاً وأن سعر الاقتراض سيكون صفراً أو قريباً من الصفر ، ولا يزال هؤلاء المكافلون في تنافس شديد يحد من أرباحهم خصوصاً وأن كثرة الإنتاج ستؤدى بطبيعة الحال إلى شدة الطلب على العامل ، ومن ثم إلى زيادة أجره ، وهذا يزيد من ثمن التكلفة ويقلل من الأرباح ؛ وقلة الأرباح ستؤدى إلى تقليل حصة المستثمر .

نعم إن هذا الوضع لن يكون إلا بعد زمن ليس بالقصير على أية حال ، إلا أنه لا خطر منه ولا خوف إذ لن يضار مستثمر أبدا . كما أن انخفاض الربح الناشئ عن كثرة الإنتاج سيؤدي إلى رغد حقيق ، وبعبارة أخرى إلى ارتفاع الأجر الحقيقي وثبات القيم النقدية .

مستوى الأسعار :

إذا طبق هذا النظام فلا مناص من البحث عن وسيلة محكمة تتمكن بها من تثبيت القوة الشرائية للنقد ، إذ بدون هذا التثبيت يتعرض هذا النظام لأخطار كثيرة . والواقع أن التثبيت يجب أن يكون غاية من غايات هذا النظام حتى يستقيم وصف النقود كقياس لقيم الأشياء ، وحتى يكون التبادل عن طريق النقد مضمون العاقبة . وبكفى لتصور أهمية التثبيت أن تتصور أنك ستدفع ١٠٠ وحدة نقدية (تعادل ١٠٠ وحدة من سلعة ١) إذا أردت الشراء اليوم بينما تتوقع انخفاض القيمة إلى ٧٥ وحدة مستقبلا أو ارتفاعها إلى ١٢٠ مثلا بعد ستة أشهر . إن مثل هذا الوضع سيؤدي حتما إلى أنواع من المضاربة التي يكسب فيها البعض الكثير ويخسر البعض الآخر مايساوي هذا الكثير (فكسب الفرد خسارة الآخر في كل مجتمع) وكل مضاربة تزعزع من الثقة حتما ، إذ لا مناص من وجود أخطاء في التقدير تؤثر بدورها في الإنتاج وبالتالي في الاستهلاك .

أما كيف تثبت القوة الشرائية في نظامنا الجديد ، فإن ذلك يتم بالطرق المألوفة ولكنه يكون أسهل تنفيذاً في الاقتصاد الإسلامي الحر . ذلك أن الدولة إذ تصدر حوالى ٦٪ من قيمة النقد المتداول في شكل ضريبة نقدية يمكنها بسهولة أن تقلل من النقد المتداول ، كما أنها في موقف يسمح بزيادة هذه الضريبة وغيرها لتمتص الزائد من النقد خصوصاً إذا استعملت سياسة الانكماش عن طريق صندوق الاستثمار . ولنوضح هذا نمود فنذكر أن مالك النقود سيضطر إلى أحد أمرين إما إنفاقها كلها أو ادخار جزء منها ، ونظراً لأن الادخار هو الاستثمار بعينه فسيعتمد كثير من المدخرين إلى صندوق الاستثمار نتيجة زيادة دخولهم الرسمية . وظاهر أن شراء شهادات هذا الصندوق هو بمثابة شراء مُناظر لتلك التي تسمى حالياً سياسة السوق

المتفتح Open market policy . ذلك أن الحكومات حالياً إذا أرادت أن تقال من النقد المتداول تدخل سوق الأوراق المالية بائعة بعض الأوراق ، وبهذا تسحب من السوق كمية النقد التي ترى أنها فائضة (والعكس في حالة الرغبة في زيادة النقد المتداول إذ تشتري الحكومة أوراقاً من السوق وهي إذ تدفع الثمن تقدماً إلى الأفراد تضع في أيديهم قوة شرائية جديدة) . هذه السياسة يمكن أن تتبع بشكل آخر عن طريق صندوق النقد ، فيأخذ الانكماش صورة بيع شهادات استثمار . والفارق أن هذه الشهادات لن تكون موضع مضاربة إذ ليس هناك مال مخزن متربص للفرض (اللهم إلا الودائع وهذه لن تكون كبيرة القيمة نظراً لأن الصندوق لا يدفع فائدة لها ولا نمدام نظام الودائع الثابتة) . بل إن الأفراد أنفسهم سيفضلون دائماً الحصول على الشهادات إن أحسوا أن مستوى الأسعار في وقت ما قد زاد عما يجب عليه حتى إنهم يفضلون الاستثمار الآجل على الاستثمار الراهن . ولهذا يشترون هذه الشهادات فتكون كصمام أمن ذاتي (أتوماتيكي) يوقف موجة الارتفاع . أما إذا أرادت الدولة أن تزيد من كمية النقد المتداول فيكون ذلك عن طريق إقاص الضريبة النقدية وغيرها من الضرائب ، كما يكون عن طريق شراء شهادات الاستثمار : أي تتخذ عكس النظام المشروح في الحالة المضادة .

ونحب أن يكون واضحاً أن تثبيت القوى الشرائية لن يكون مطلقاً بل سيكون أمراً شاقاً في البداية ، إذ أن التثبيت يعني إيجاد نسبة ثابتة بين كمية النقد المتداولة ومجموع الإنتاج الداخلي فإذا زاد الإنتاج فيجب أن تزيد النقود (وبلا حظ أن سرعة تداول النقد في النظام الجديد ستكون ثابتة على وجه التقريب نظراً لأن طبيعة هذا النظام تقوم على هذا الأساس من التداول) والعكس صحيح . فإذا انخفض الإنتاج فيجب تقليل كمية النقد وبهذا نحتفظ للنقود بقوتها الشرائية .

ولا شك أنه من المحتمل أن تطرأ أحوال تقتضي عدم اضطراب هذه القاعدة . وهذا احتمال كبير تزداد أهميته بازدياد الاضطراب في الموازين الحسابية للدول التي تطبق هذا النظام .

وإن مجرد تصور احتمال في هذه الموازين يعنى ضرورة التوفيق بين قاعدة تثبيت القيمة الداخلية للنقد ووجوب تركها تتذبذب لتقابل الخلل في الميزان الحسابي .
وسنعرض لهذا إن شاء الله حين معالجة موضوع سعر الصرف والتجارة الخارجية .
والمهم هنا هو أن نمتدح بأن القوة الشرائية للنقد (في الداخل) لن تكون جامدة تماما ولكنها ستتذبذب لتمشى مع التغيرات التي تطرأ على الإنتاج الداخلي ومستوى الصرف الخارجي ؛ ولكن لن يلبث هذا التذبذب أن يعود إلى مستواه العادي وذلك في الأجل القصير ، نظرا لأن الخلل في الموازين الحسابية هو خلل قصير الأجل يحكم تعريفه وطبيعته ، ولأن سيطرة الدولة على كمية النقود المتداولة سيطرة كاملة .

« الخاتمة في المدد القادم »

حرب دينية

(إنه من الواجب القيام بحرب دينية يُستخلص بها القبر المقدس وتوضع بلاد يسوع تحت حراسة أمير مسيحي وحماية مجموع الدول العظام)

« دوفاريك »

من علماء القانون

بَابُ الْكِتَابِ : نَفْدٌ وَتَعْرِيفٌ

١ - العبادات في الإسلام ، للأستاذ محمد إسماعيل عبده ، المعيد
بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ٤٣٩ ص ك ، نشر مكتبة
وهبه حسن وهبه بمصر سنة ١٩٥٤ .

هذا الكتاب جاء في إبانه ووقت الحاجة إليه ، فهو يلبي حاجات الراغبين
من المسلمين وغير المسلمين في معرفة ما فرضه الله علينا من عبادات (الصلاة والصوم
والزكاة والحج) وأسباب مشروعيتهما ، وما قامت عليه من أصول وترى إليه من
حكم وأهداف . وقد بذل مؤلفه الفاضل فيه جهده ليكون عملاً علمياً جيداً ، وقد
وفق بحمد الله إلى ما أراد ، فهو حسن التبويب والعرض ، واضح الأسلوب ، ويعتمد
على كثير من المراجع الوثوق بها القديمة والحديثة أو الأصلية وغير الأصلية
بتمبير آخر .

وقد رأى المؤلف بحق أن يكون حراً في البحث غير مقيد بمذهب بعينه من
مذاهب الفقه المعروفة ، وذلك أن يعتمد قبل كل شيء على القرآن والسنة ، فهو
يقدم بين يدي كل بحث ما يعتمد عليه من كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة ،
ويحاول التوفيق بين ما قد يبدو متعارضاً من النصوص أو يختار من بينها (ص ٧٤ -
٧٨ مثلاً) . وقد قدم صديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ محمد الزفزاف ، أستاذ الشريعة
الإسلامية بدار العلوم ، بمقدمة طيبة كشفت عن مزايا هذا الكتاب (ص ٤ - ٥) ،
وهي ميزات من حق الكاتب أن يفخر بها ويحمد الله على أن وفقه إليها .

وإذا أردنا بعض المثل الحسن للتبويب والعرض ، لنا أن نشير إلى هذه العناوين :

١ - « الاجتماع على الصلاة » ويريد به صلاة الجماعة ، فقد عرض فيه (ص ٤٩
وما بعدها) إلى المساجد وأفضالها وعمارتها وقداستها ، وإلى صلاة الجماعة وما ينبغي
للإمام والمأموم ، ثم أخيراً إلى صلاة الجمعة ووجوبها وخطبتها وآدابها .

٢ - « النوافل المرتبطة بأسبابها » ويريد بها ما ليس من السنن المعروفة .

فقد جعل منها ما يرجع إلى الإعجاب بآيات الله : صلاة الكسوف والخسوف ، وما يرجع إلى الطمع في فضل الله : صلاة الحاجة والاستسقاء والاستخارة (ص ١٧٧ وما بعدها) .

٣ - « الجنائز » (ص ١٨٣ وما بعدها) . وهنا يمرض إلى ما يكون قبل الموت : عيادة المريض ، عدم تمنى الموت ، الاتجار ، إحسان الظن بالله في هذه الحالة . ثم ما يكون عند الموت مما يلزم للمتوفى وأهله ، ثم ما يكون بعد الدفن من الدعاء للميت وتمزية أهله وزيارة القبور وأحكامها .

وهكذا ، نرى من هذه المثل ، وغيرها كثير ، شغف المؤلف بروح التبويب والتنظيم وعملية التحليل والتركيب بالجمع بين المناسبات والتفريق بين المختلفات من البحوث والموضوعات ، وذلك لعمى منهج علمي سديد ، وهو غير ما نراه في كتب الفقه المعروفة من الأحكام التي تمرر سرياً بطريقة يمل منها القارئ .

ولم ينس الأستاذ أن يستعين بالرسم والتصوير حين الحاجة إليه ؛ وذلك - مثلاً - في بيان حدود الحرم ومواقف الإحرام ، والطريق من مكة المكرمة إلى منى وعرفات .

وفي الكتاب مع ذلك كله نظرات لا يعوزها العمق والإحاطة ، ونراها مبثوثة في تضاعيف الكتاب ؛ مثل بحثه في التيمم وحكمته (ص ٩٠) وما إذا لا تجوز قراءة الفاتحة مترجمة في الصلاة خلافاً للأحناف (ص ١٢٤ - ١٢٥) ، ووجوب الزكاة عن الأوراق المالية ونحوها (ص ٢٦٤ - ٢٦٥) .

وأخيراً ، هذا كتاب لم يسبق صاحبه في مجموعه إليه من أحد من الشبان المعاصرين . ولهذا يفيد منه القراء أكبر فائدة ، ولا عجب ! فكاتبه نال حظاً وافراً من ثقافة الأزهر الدينية الإسلامية ، ثم صقلته بعد ذلك دار العلوم .

دكتور محمد يوسف موسى

٢ - فقه الكتاب والسنة ، البيوع والمعاملات المالية المعاصرة
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، أستاذ الشريعة
الإسلامية بجامعة القاهرة ، نشر وطبع دار الكتاب العربي
بمصر ١٩٥٤ ، ٢٠٧ ص ك .

١ - للأستاذ الكبير الدكتور محمد يوسف موسى نشاطه المبارك الموفور ،
في ميدان الإنتاج العلمي الرفيع . وهذا الكتاب الذي نعرف به اليوم - في طبعته
الثانية - يقدم للباحثين في الفقه الإسلامي منهجا جديدا ، ثم تطبيقا لهذا المنهج
في المعاملات المالية المعاصرة ، فهو بحث علمي قيم توافرت له كل أدوات البحث
ووسائله ، فجاء سليم المنهج ، مسدد الخطوات ، عظيم النتائج ، وبلغ من الدقة والعمق
مبلغا ما نشك في أنه كلف الأستاذ الجليل جهدا غير يسير .

٢ - ولقد حفز الأستاذ الفاضل إلى تناول هذا الموضوع في دروسه لطلبة دبلوم
الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق ، ثم إلى تسجيله في كتاب مقررته في افتتاحية
البحث من أنه قد « اشتدت الدعوة إلى أن تقوم نهضتنا في التشريع والقانون على
أسس قوية من فقه كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة ، وهذا لا يتحقق
إلا بوضع منهج سليم لاستخلاص الفقه من هذين المصدرين القدسين ، ثم تطبيق
هذا المنهج تطبيقا يشمل ما نراه من التصرفات والمعاملات المالية المعاصرة ، وبذلك
يمكن أن يسير هذا الفقه إلى الأمام دائما ، ويتجدد بعد طول ركود » [ص ٣] .

٣ - وقد حدد لبحثه القيم هذا المنهج :

- (١) مقدمة في بيان الشريعة والفقه ، والفرق بينهما ، وأهمية تاريخية .
- (٢) القسم الأول في الكتاب والسنة ، وبعض البحوث الهامة المتعلقة بهما .
- (٣) القسم الثاني في البيع ، على النحو الذي ألفناه من قبل في كتب الفقه .
- (٣) القسم الثالث في بعض المعاملات المالية المعاصرة التي تجري في سوق
المعقود وغيرها بمصر .

ثم مضى فيه على هذا الترتيب حتى نهايته ، فلم يكد يخلو أحد أقسامه من
جديد مفيد . . .

٤ - في القسم الأول ، حيث الحديث عن الكتاب والسنة ، ومنزلة السنة من الكتاب - يعرض الأستاذ الجليل لبحثين كلاهما وثيق الصلة بالحياة الحاضرة ، أما الأول فيثبت فيه أن السنة ضرورية للكتاب ، ومعه ؛ لأنها بصريح النص - بيان له (وهو بهذا يرد على الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الشرعية العليا ببيروت ، فيما ذكره خاصا ببعض اجتهادات الشيعة الإمامية ، من أن بعض ما أخبر به الرسول لا يجب التدين به بعد العلم بصدوره عنه) ص ١٦ - ١٧ ، وأما الثاني فيرد به على كاتب من حلب هو الأستاذ محمود اللبائدي فيما زعمه من أن القرآن ما زال حتى اليوم قابلا للنسخ ؛ لأن التشريع الآن للأمة . [والمقالان كلاهما نشرتهما رسالة الإسلام في العدد الرابع من السنة الرابعة] .

٥ - وهنا ، يعرض الأستاذ الباحثة لرأى نجم الدين الطوفي [فقيه حنبلي توفي عام ٧١٦ هـ] في المصلحة ، ووجوب تقديمها على النص إذا عارضها ، فيرى أنه قريب من القول بقبول القرآن للنسخ ، وأنه رأى خاطيء عن علم أو اجتهاد ، بصرف النظر عن عقيدة قائله ونزعائه [ص ١٨] ثم هو يعود إلى هذا الموضوع عندما يتكلم عن النسخ ، وهناك في [ص ٣٨] يقرر « أنه من ضلال الفسك والرأى ما ذهب إليه أمثال نجم الدين الطوفي ، ومن أخذ إخذه من الكتاب المعاصرين ، من جواز نسخ النص (القرآن والحديث) تبعا للمصلحة كما يزعمون ، وإلا رأينا القرآن هدفاً للتغيير والتبديل في أحكامه حسب الزمان والمكان ، وهذا مالا يرضاه مؤمن بالله وكتابه » .

٦ - وفي ختام هذا القسم الأول من الكتاب ، يحدد الأستاذ المؤلف منهج البحث في تسع خطوات هامة ، وينادي بضرورة الرجوع إلى الكتاب المحكم والسنة الصحيحة لاستمداد الأحكام منهما ؛ لأن في هذا خيرا كثيرا ، « وبخاصة في هذه الأيام التي تحفل بمشاكل لم يتعرض الفقهاء فيما مضى لها جميعا ، وتلك طبيعة الزمن الذي يتغير دائما ، وتحدث فيه نوازل جديدة من آن لأن ، فتطلب أحكاما شرعية لها » [ص ٤٦] . لكنه يحذر بشدة من الأخذ المباشر من هذين المصدرين الأصليين المقدسين دون تهيهو بما يجب لهذا من مؤهلات وعلوم ودراسات لا بد منها ؛ فإنه حينئذ فوضى خطيرة لا ينبغي أن يسمح بها بحال » [ص ٤٦] . . .

٧ - وفي القسم الثاني من الكتاب يتناول العالم البجائية البيع وما يتصل به من بحوث ، فيتحدث عنه بوصفه نظاماً معروفاً منذ القدم ، وعن شرعيته وإبقائه على الرضى ، وعن الخيارات ، وعن الرضى : معناه ، وصور التعبير عنه ، وأثر قوته في حالاته الست ، ثم عن شروط البيع ، وآثاره ، وعن العقود غير الصحيحة بنوعيتها ، والبيع المنهى عنها . . . يتناول كل ذلك في شيء من التفصيل ، ومع اهتمام بالغ بتعليل الأحكام التي يذكرها ، فتربو الصفحات التي يستغرقها هذا القسم على مائة [٤٧ - ١٥٦] حتى إذا ما فرغ منه تحدث في القسم الثالث عن المعاملات المالية المعاصرة . .

٨ - وهذا القسم يبدأ بتمهيد عن واجب الفقيه ، ومهمته « في هذا العصر الحافل برجال القانون الوضعي في الغرب والشرق » . والأستاذ المؤلف يذكر أن مهمة الفقيه « تقتضيه فهما عميقاً للمصدرين الجليلين المقدسين للشريعة الإسلامية ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية ، ومعرفة بملل الأحكام ومسالكها ، وقدرة على الموازنة والترجيح عند تمارض الأدلة ، ووقوفاً على الأعراف في البلاد الإسلامية المختلفة ، إلى غير ذلك مما يجب أن يتوافر في الفقيه الذي يستأهل هذا الوصف الجليل » [ص ١٥٩] ثم يقرر أنه سيكون في هذا البحث بما يخص بالقطن خارج البورصة ودخلها ؛ لأن كل ضرب من ضروب المعاملات المالية والتجارية المعاصرة يحتاج إلى بحوث خاصة مستقلة [ص ١٦٠ - ١٦١] .

٩ - بعد هذا يدرس المؤلف الفاضل أعمال البورصة ، ويبين الفرق بينها وبين السوق ، ثم يوازن بين الأسواق في مصر وفي أوربا ، ثم يدرس سوق القطن وعملياته دراسة مستفيضة يخلص منها إلى رأى الفقه الإسلامى في عملياتها جميعاً [١٧٤ - ١٧٨] ، ثم يبحث ما يجب بحثه من العقود التي يمر بها القطن في مختلف مراحلها ، على ضوء الفقه الإسلامى وهي :

(١) بيع القطن قبل وجوده بسعر قطعى ، أو بسعر يحدده البائع في مدة معينة أو بسعر سوق المتوعد في يوم معين .

(٢) بيع قطن موجود فعلاً بسعر يحدد حسب الطريقة السابقة .

(٣) البيع بين المورد والمصدر .

وهو بحث جديد ممتع يستغرق الجزء الأخير من الكتاب [١٧٩ - ١٩٧] ،
وينتهي بدعوة مغلصة إلى فتح باب الاجتهاد في المعاملات على مصراعيه ، ولكن
للقادر عليه فقط ، وعلى أن نسير في كل مذهب إليه من أحكام في فلك القرآن
والسنة دائماً ، ويشترط أن نعرف علل الأحكام التي جاء بها هذان المصدران المقدسان ،
فنجعل الأحكام تدور معها وجوداً وعدماً ، وبشرط أن نحيط خيراً بمقاصد شريعتنا
الحالدة [ص ١٩٧] .

وأخيراً فهذا البحث الفقهي مثال ممتاز لافقه الإسلامى كما ينبغي أن تعالج
مشاكله في هذا العصر .. هو ممتاز بمنهجه العلمى السليم ، وبموضوعه الجديد المتصل
بالحياة أوثق اتصال ، وبالمراجع الأصيلة الكثيرة التي استمد منها . فلعل الأستاذ
الكبير يتابع جهده المشكور في هذا السبيل ، وله من الله المثوبة ، وحسن الجزاء عما
يبدل في سبيل دينه وقومه .

مصطفى زبير

مدرس الشريعة الإسلامية بدار العلوم



الحق

ولم أرَ مثلَ الحقِّ أما طريقه فأمّنٌ وأما جاره فعزيز
إذا ما امرؤ آوى إليه فخصه حصينٌ ومأواه المباح حرز
« أبو المطرف بن عميرة المخزومي »

ناروتنا

* نذر الله .

أخى فى الله رئيس التحرير . . .

أحييك بما يحى به الله عباده المؤمنين فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .
منذ أن قابلتك فى الأبيض فى يناير عام ١٩٥١ م وأنا أذكرك عند كل أذان
مغرب وإن كانت تلك المقابلة سريعة ومضت كلح البصر ، إلا أنها لحظات خالدة لأنها
فى حقيقة القلب أعمار ، وفى صفحة الوجود أجيال ، وعند الله فى سفر الخلود ،
فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة .
وإن كانت بيننا أبعاد ومسافات ، فلروح سبحات تطوى بها الأبعاد كطوى
السجل للكتاب .

إنها ألفة القلوب ، إنها من صنع الله وحده ، إنها السر الذى لا يستطيع دنانير
الأرض مجتمعة أن تأتى بمثله ، وصدق الله العظيم « لو أنفقت مافى الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » فحمد الله أن « جمع تلك القلوب على
محبه وجعلها تلتقى على طاعته وتتوحد على دعوته وتتماهد على نصرة شريعته »
فأنساها الحواجز الإقليمية والحدود الجغرافية ، وربطها برابط واحد هو رابط العقيدة
فى الله ، ذلك الرابط الذى لا تحله أزمة مادية ولا اضطهاد بشرى ! فله الحمد وهو على
كل شىء قدير .

ثم جاءت « المسلمون » فالتقينا فى ندوتها ، وحمدنا الله الذى وفق صاحبها لإعادة
« الشهاب » فى اسم جديد . وكنت أقرؤها وأنا مطمئن حتى إذا ذكرت مجلة
« الشهاب » شعرت بالإشفاق ؛ والله سبحانه وتعالى يقول : « ولنبلونكم بشىء
من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » إن كل

مؤمن لابد أن يتوقع الاختبار والفتنة والامتحان « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ » .

ثم تغيرت ظروف بطروف ... وبينما كنت ومن معي غارقين في هذه الأبحر من التفكير والتعليق إذا بنا نفاجأ بما يميز هذا الإشفاق ، فاحتجب رقيق الخلوة وحديث الندوة وملهم الروح والفكرة !... لا !... أستغفر الله ... إنها ستظهر !! لأنها تحمل أمانة الدعوة إلى الله ، والله وحده كفيل بحفظها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ولقد نذرت لله أن أجمع لها عند عودتها عددا من المشتركين ، فلم يطل احتجاجها ولم تلبث أن ظهرت مستأنفة جهادها ، فالحمد لله . وها قد جمعت لها عدداً من المشتركين ، وأسأل الله أن يجعله وفاة مقبولاً للنذر ، فإني أخاف « يوماً كان شره مستطيراً » .

وأخيراً لي حديث إلى إخواني القراء :

إنكم أيها القراء على اختلاف أمانتكم وبمدها لاشك قد حمدتم الله على أن عادت مجلتكم « المسلمون » ووصلكم متأخر من أعدادها . ولاشك أنكم تعلمون أن كل اشتراك في مجلة « المسلمون » إنما هو تدعيم للفكرة الإسلامية واندحار للفكرة الإلحادية ، وهو فوق ذلك إرضاء لله تعالى ، وهذا غاية ما نبغى جميعاً ، فهلا حاول كل منكم — شكراً لله على إظهار المجلة — أن يجمع لها عدداً من المشتركين ؟ إنكم لاشك تعلمون ما يقدمه هذا العمل من خدمة للإسلام . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من أضيكم المخلص

محمد ساني محمد

بور - سودان

شكر الله لك يا أخى محمد هذه العاطفة الكريمة ، وجزاك أحسن الجزاء عن هذا الشعور النبيل . . لقد هزنتى كل كلمة في رسالتك ، وأشمرتني بنعمة من الله وفضل نعمجز عن شكرها في هذه الأخوة السامية في الله . . أدعو الله أن يتقبل نذكرك أحسن القبول ، ويوفقك لما يحبه ويرضاه ، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

إِنَّا لَنَبْدُلُكَ عَلَيْكَ حَقًّا

بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقة

- س ١ : لم يكن أخوه ضعيف ولكنه مات أثناء جراحة بسيطة .
ج ١ : كان ذلك كثير الحدوث في الماضي : إما لوقوف القلب أو حركة التنفس من أثر البنج أو الجراحة . وقلما نسمع بذلك اليوم بعد الخبرة والمران .

- س ٢ : ماسب الأرق وما علاجه ؟
ج ٢ : إذا لم يكن ألم أو مرض فالسبب الهم والنم وإجهاد الذهن . والعلاج إزالة السبب ، ومنع المنبهات ، وتهئية ما يمين على النوم كالهدهوء والفراش المريح ، والكف عن العقاقير المنومة خشية التعود عليها .

- س ٣ : لين عظام الأطفال . ماسبه وما دوائه ، وهل هو أمعد ؟
ج ٣ : سببه سوء التغذية وقلة الجير (كسيوم) وفيتامين (د) وعلاجه الغذاء الجيد وخاصة لبن الأم وفيتامين (د) وحقن الجير . وقد يمين الهواء الطلق والشمس وفيتامين (ب) . وهو غير معد .

- س ٤ : منذ سنة ظهرت على ذكره حبيبات مثل رأس الدبوس فما هي ؟
ويشعر بميل إلى البول وألم خفيف . يريد العلاج .
ج ٤ : أولاً : حبيبات الذكر قد تكون طبيعية وليست مرضاً .
ثانياً : يلزم فحص البول فإن وجد به صديد وجب علاج بنسلين أو سلفا .

- س ٥ : بواسير كبيرة وسقوط بالشرج يخاف الجراحة فماذا يفعل ؟ .

ج ٥ : سقوط الشرج حدث من إهمال البواسير مدة طويلة . لابد من الجراحة ،
وكنى تأخيراً .

س ٦ : فتاة لها شارب . .

ج ٦ : الشعر الخفيف شيء عادي تكفيه « الحلاوة » أما الشعر الغزير فيدل
على اضطراب الغدد ، ويمالج بالهرمونات .

س ٧ : أفرط في العادة السرية ثم كف عنها . يريد دواء يقيه سوء العاقبة .
ج ٧ : الحمد لله الذي هداه . من تاب فلا خوف عليه ، ولا داعي للدواء .

س ٨ : في أجزاء حساسة من جسمها عروق حمراء وزرقاء تنجبل من زوجها .
ج ٨ : اجعلي الحب والمودة وجمال الروح عدتك تحتف العروق في نظرة .

س ٩ : منص كاكوي شديد من حصاة بالكلية اليمنى يخشى عملية الجراحة
وعودة الحصاة .
ج ٩ : اعملها وتوكل .

س ١٠ : يتسرب البول إلى فرجها ويسبب التهاباً ورائحة كريهة ؟
ج ١٠ : هذا ناسور بولي عقب ولادة عسرة ، يعالج بالجراحة .

س ١١ : قشر الرأس ما دواؤه ؟

ج ١١ : دهان كبريت وحمص سلسيل وزيت مرة كل ثلاث ليال ، ثم غسل
بماء دافئ وصابون كبريت في الصباح .

مع العارفين

ثور بن يزيد

« كان قلب ثور بين عينيه »

« يحيى بن سعيد »

تكاد لا تجد فيما ورد عن ثور خبراً عنه هو : كيف كان ، وكيف عاش ، ولكنك تقرأ له أشياء رواها ، بعضها مما قرأ ، وكان واسع القراءة ، وبعضها مما أسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وكلها يعطيك صورة عن نفسه ، وعن المعاني العالية التي شغلتها فيما قرأ ، والتي اهتم بروايتها والتذكير بها . . .

قال : « مكتوب في بعض الكتب : إن سرّك أن تعلم علم اليقين فأحب كل حين أن تغلب شهوات الدنيا . . — وقرأت في بعضها « قل للذين يتظامأون ويتجوعون للبر ، أولئك الذين يأوون إلى حظيرة القدس عندي » .

وفي التوراة : « الذين يصلحون من الناس إذا تفسدوا أولئك خصائص الله من خلقه » وفيها « إن الزناة والسراق إذا سمعوا بشواب الله للأبرار طعموا أن يكونوا معهم بلا تمب ولا نصب ولا مشقة على أبدانهم ، ولا مخالفة لأهوائهم ، وهذا ما لا يكون » وروى عن عيسى عليه السلام : « يامعشر الجواريين كلوا الله كثيراً وكلوا الناس قليلاً — قالوا وكيف نكلم الله ؟ قال : اخلوا بمناجاته . . . اخلوا بدعائه . . . »

وفي الإنجيل : الحجر في البنيان من غير حلّ عربون خرابه !

وروى عن بشر الشامي قوله « لكل المباد هم ، فهموم خير وهموم شر »

وقال هو : إذا وقف السائل على الباب وقفت الرحمة معه ، قبلها من قبلها ، ورددها من ردها ، ومن نظر إلى مسكين نظر رحمة نظر الله إليه نظر رحمة ، ومن

أطال الصلاة خفف الله عنه القيام يوم القيامة (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ،
ومن أكثر الدعاء قات الملائكة : صوت معروف ، ودعاء مستجاب ،
وحاجة مقضية ! .

وقد أسند ثور عن خالد بن معدان ، وعن مكحول ، وعن عبد الرحمن بن
جبير ، وعن يحيى بن الحارث وغيرهم - ومن الحجازيين عن سميد بن
المسيب ، وعطاء ، ونافع ، وغيرهم . . . ؛ وأكثرها أحاديث غريبة انفرد بعض
الرواة بروايتها عنه .

روى عن خالد عن أبي أمامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله
في الأرض آنية ، وأحب آنية الله إليه مارق منها وصفا ، وآنية الله في الأرض
قلوب العباد الصالحين » .

وعن خالد عن أبي الدرداء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من سبق إلى
الصلاة مخافة أن تسبقه أوجب الله له الجنة ، ومن تركها مأثرة عليها لم يدركها بعمل
إلى الحول » .

وعن مكحول عن شداد بن أوس عن الرسول صلى الله عليه وسلم « قال الله
عز وجل : وعزتي لا أجمع لعبدي أمين ولا خوفين ؛ إن هو أمتنى في الدنيا أخفته
يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمنت به يوم أجمع عبادي » .

وعن خالد عن مجاهد عن عمر بن الخطاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم « ابن
آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يظمئك . ابن آدم لا بقليل تقنع ، ولا بكثير
تشبع . ابن آدم : إذا أصبحت معافى في بدنك ، آمنا في سربك ، عندك قوت يومك
فعلى الدنيا المعاف » .

وعن جبير بن نفيير عن النواس بن سمان عنه صلى الله عليه وسلم « كبرت خيانة
أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب » .

وعن حبيب بن عبيد عن المقدم بن معدى كرب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » .

وروى أن رجلا مدح ابن عمر رضي الله عنه في وجهه فقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « احثوا في وجوه المداحين التراب » . ثم أخذ ابن عمر التراب فرمى به في وجه المادح .

وروى عن أبي النيب ، قال : رأى ابن عمر فتي يصلي قد أطال الصلاة وأطنب فيها ، فقال : أيكم يعرف هذا ؟ فقال رجل : أنا أعرفه ، فقال : أما إنني لو عرفته لأمرته أن يكثر الركوع والسجود ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة أتى بذنوبه كلها فوضعت على عاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه »



المداجاة

وذى إحنةٍ قد قلت أهلاً ومرحباً له حين يلقاني خيلاً وزجراً
وأعطيته من ظاهري مسحة الرضا وقربته حتى دنا فتقربا
فصُلْتُ به مستمكن الكف صولة شفيت بها أضغان من كان منغصبا
« عبد الجبار بن مساحق »

تونس المجاهدة

للشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر

حَيٌّ فِي (تُونِسَ) شَمْبًا عَرَبِيًّا هَبَّ إِعْصَارًا عَلَى الْبَاغِي عَقِيًّا
خَاضَهَا سَمَوَاءُ نَارًا وَدَمًا خَاضَهَا مَوْتًا مَشَى فِيهِ أَبِيًّا
مَنْ يَمُتْ مِنْهُمْ يَمُتْ حُرًّا وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَوْتًا قُدُسِيًّا
أَيُّ شَعْبٍ خَالِدٍ فِي (تُونِسَ) رَوَّعَ الْأَعْدَاءَ شَيْخًا وَفَتِيًّا
مَدَّلَ أَعْلَى إِذَا الشَّرْقُ اعْتَلَى سُلَّمِ الْمَجْدِ لَهُ عَاشَ عَلِيًّا

يَا (فَرَنْسَا) أَنْتِ أَجْرَيْتِ دَمًا طَاهِرًا فِي (تُونِسَ) حُرًّا زَكِيًّا
إِنِّهَا (جَانْدَرْكُ) (أُخْرَى رَفَعَتْ) لِبْنَى الشَّرْقِ لَوَاءَ (يَمْرُوتِيَا)^(١)
وَمِى لَا تَحْرِقُهَا النَّارُ وَهَلْ تَحْرِقُ النَّيْرَانُ عَزْمًا مَغْرِبِيًّا
فَاجْعَلُوا فِيهَا (مُقِيمًا عَسْكَرِيًّا) إِنْ تَشَاءُوا أَوْ (مُقِيمًا مَدْنِيًّا)
فَكَلَّا الْاِثْنَيْنِ لَا تَبْصِرُهُ (تُونِسُ) إِلَّا أَعْدَاؤُا أَجْنَبِيًّا

يَا (فَرَنْسَا) أَنْتِ أَطْفَيْ دَوْلَةً بِفِيهَا دَوَى عَلَى الشَّرْقِ دَوِيًّا
يَا فَرَنْسَا أَنْتِ وَحْشٌ فَوْقَهُ بَاتَ فِيهِ بَدَمُ النَّاسِ رَوِيًّا

(١) جان دارك ، هي المجاهدة الفرنسية التي حاربت الإنجليز دفاعاً عن وطنها ، وهزمتهم أكثر من مرة ، وكانت تحمل راية بيضاء ، ولكن الإنجليز ظفروا بها أخيراً وأحرقوها .
وبعدها الكثيرون من القديسات .

أنتِ في (الغرب) ليثٌ هائجٌ هذه (الهندُ) إذا شئتِ فهياً^(١)
يا فرنسا هذه الهندُ فهياً وأرينا البأسَ والعزمَ القويّاً
يا فرنسا هذه الهندُ فهياً نرى نجدَ فرنسا المسكريباً
كم تلقيتِ عليها صفةً ثم أخرى، ثم آثرتِ المضياً !!؟

يا (بنى الشرق) وهذى تونسٌ نهضتُ فلينهض الشرقُ سويّاً
طالبَ عهدٍ الشرقِ بالذلِّ فهل باتَ ذلُّ الشرقِ ذلاًّ أبديّاً !!؟
عمّموا (الثورة) في أرجائه بكرةً في كلِّ يومٍ وعشيّاً
وكفناكم أنَّ من ماتَ بها لقيَ اللهَ شهيداً وطنياً
إن من ماتَ شهيداً وطنياً كاد يلقى اللهَ في الحشر نبيّاً

قلْ لأمریکا إذا لافيتها كان ما قلتِ لنا قولاً قريباً
يا لها شتى وعودٍ صُنفتِها لشعوب الشرقِ صوغاً عبقرياً
ما له في غمرة لا تنجلي !!؟ ما له ما زال بالغرب شقيقاً !!؟

يا (بنى الغرب) كفى ختلاً كفى لم يَمُدَّ أَمركمُ سراً خفياً
كم وعودٍ لكم ممطولةً أبكمُ كان مع الناسَ وفيّاً !!؟
إنما أنتم جميعاً دولٌ تحكمُ العالمَ حكماً (قيصريّاً)
ليس فيكم من يرانا أمماً كلُّكم يطلبنا أكلاً شهياً
أكذا (الإنجيل) قد علمكم !!؟ أكذا ما قلتمُ عنه (رُقيّاً) !!؟
نحنُ في الدنيا جميعاً إخوةٌ فاغرسوا فيها الودادَ الأخويّاً
وأقيموا العدلَ في أرجائها بعش الكلِّ بها عيشاً هنيئاً

(١) المراد بالهند هنا (الهند الصينية) .

حَقَائِقُ عَنِ الْأَسْلَامِ

تمثيل طبيعته وتدفع الشبهات عنه

[استجابة لرغبة كثير من القراء ننشر النص العربي للبيان الذي قدمه
رئيس التحرير باسم الإخوان المسلمين إلى مؤتمر الثقافة الإسلامي الذي عقد
في الولايات المتحدة في سبتمبر سنة ١٩٥٣ . وقد نشرنا النص الإنجليزي
في الأعداد من : الرابع حتى السابع من « المسلمون » هذا العام]

١ - مولد الإسلام مولد الإنسانية العليا :

لقد كان مولد الإسلام في الحقيقة إعلاناً قوياً عن مولد الإنسانية العليا ؛
فالإسلام في صميمه ثورة تحريرية كبرى شملت كل جوانب الحياة الإنسانية ، نابعة
من ضمير الفرد ، ومتجهة إلى حياة المجتمع . ثورة حطمت في طريقها كل القيود
الروحية والعقلية والاجتماعية التي كانت تكبل الروح الإنساني والحياة الإنسانية ،
وأعلنت حقوق الإنسان كاملة ، وقادت البشرية منذئذ وثلاثة عشر قرناً إلى
الطريق اللائق بيني الإنسان .

كان مولد الإسلام ميلاد ثورة في عالم العقيدة ، خلعت الضمير البشري من الوهم
والخرافة ، ونزعت الذات الإلهية تنزيهاً طافاً عن الشرك والمشابهة ، وعقدت الصلة
المباشرة بين العبد والرب دون ما وسيط يتحكم في صلة الله بالعباد .

والربوبية المطلقة لله والصلة المباشرة بين الرب والعبد هي مفرق الطريق بين
النظام والفوضى في عالم العقيدة ، وبين الحرية والعبودية كذلك ، وليس هذا بالشئ
اليسير إذا نحن تذكرنا ما عانت البشرية من سلطان الوسطاء بين الله والناس من
الكهنة ورجال الدين ، وتذكرنا الاضطهادات للعلماء وأحرار الفكر في القرون
الوسطى ، وتذكرنا الثورات التي قامت في أوروبا لتحطيم سلطان من يدعون الوكالة
عن الله في الأرض .

ومن ثم كانت حرية الفكر سمة أصيلة من سمات العقيدة الإسلامية ، لا يتحكم
فيها أحد باسم الوساطة بين الله والناس ، ولا باسم الوكالة عن الله في الأرض ،

فالإسلام لا يمتد بوجود هيئة أو طبقة دينية بالمعنى الذى عرف فى أوروبا ،
أو المعروف فى الهند والبلاد الوثنية عامة .

وكان مولد الإسلام ثورة فى عالم العقيدة فى اتجاه آخر . . ثورة على التعصب
الدينى منذ إعلانه لحرية الاعتقاد والعبادة فى صورتها الكبرى :

« لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » (١) .

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا . أفأنت تُكفر الناس حتى
يكونوا مؤمنين » (٢) .

لقد تحطم التعصب الدينى لتحل محله السماحة المطلقة ، بل لتصبح حرية العقيدة
وحرية العبادة واجبا مفروضا على المسلم لأصحاب العقائد السماوية الأخرى
فى الوطن الإسلامى . وحينما شرع القتال فى الإسلام لأول مرة ، بين القرآن الكريم
حكمة القتال فقال :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخْرِجُوا
من ديارهم بنير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا » (٣) .

والصوامع معابد الرهبان ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات معابد اليهود ،
والمساجد مصليات المسلمين . وقد قدم الصوامع والبيع والصلوات فى النص على
المساجد توكيدا لدفع العدوان عنها ، وتوفير الحماية لها .

لا بل بلغت السماحة حد توفير الحماية والأمن للمشرِك الذى لا يدين بدين سماوى
مادام لا يؤذى المسلمين فى عقيدتهم ، ولا يفتنهم عن دينهم ، فجاء القرآن :

« وإن أحد من المشرِكين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه
مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » (٤) .

(٢) يونس : ٩٩ .

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٤) التوبة : ٦ .

(٣) الحج : ٣٩ ، ٤٠ .

وهي قمة في السماحة ما تزال البشرية تتطلع إليها اليوم في كثير من الأوطان ،
ويكفي أن نعرف أنه لا مكان في الرقعة الشيوعية لمن لا يدينون بمذهب التفسير المادى
للتاريخ ، ولا للذين يلحدون في كارل ماركس ولينين !

كذلك كان مولد الإسلام ثورة على التعصب العنصرى ، فأعلن الإسلام عن
وحدة الأصل الإنسانى ، ووحدة المستوى البشرى للأجناس جميعا ، وبذلك حطم
طاغوت العنصرية البغيضة ، وقرر أن هناك مقياسا واحدا ثابتا للأفضلية ، لا يرجع
إلى لون البشرة ، ولا إلى أصل المولد ، ولا إلى الوراثة أو النسب ؛ إنما يرجع إلى
تقوى الله ، والعمل الصالح في الحياة الدنيا ، وهى أمور شخصية لا علاقة لها
بالأجناس والألوان :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا .
إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) .

« ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا
من مات على عصبية » (٢) .

ولقد عاشت الأجناس والألوان واللغات في الوطن الإسلامى فى سلام قرونا
كثيرة منذ نيف وثلاثة عشر قرنا ، بينما المجتمعات الإنسانية التى لم تهتد بسماحة
الإسلام ما تزال تعاني من التعصب العنصرى المقيت ، وما تزال مشكلة الملونين
فى الولايات المتحدة وفى اتحاد جنوب إفريقيا تصدم الضمير البشرى وتخدشه بعنف .
وقبل سنوات كانت فلسفة النازى تقوم على أساس امتياز العنصر الآرى . واليوم
تقوم إسرائيل معتمدة على أسطورة الشعب المختار !

وأخيرا لقد كان مولد الإسلام ثورة على الفوارق الطبقية وعلى طغیان الحكام
سواء ؛ ذلك أنه جرد الطبقات الحاكمة من كل امتياز ومن كل سلطان ذاتى ،
ورد الأمر كله فى التشريع إلى الله ، ورد الأمر كله فى اختبار من يقوم على التنفيذ
إلى الشعب .

(٢) حديث نبوى أخرجه أبو داود فى سننه .

(١) الحجرات : ١٣ .

ولا بد من وقفة دقيقة تكشف عن عمق ما في هذا النظام من ضمانات لا يحتملها نظام آخر في الأرض .

إن انتزاع حق التشريع ابتداء من البشر ، ورده إلى الله وحده سبحانه ، لم يبق لواحد من البشر ، أو لجماعة ، أو لطبقة ، مجالا للتحكم في الآخرين ، ولا منفذا يعلو به فرد على جماعة ، أو طبقة على طبقة .

أن الحاكمية أصلاً لله ، وليس لغيره أن يشرع ابتداء ، إنما يقوم البشر بالتطبيق والتنفيذ والله رب الجميع ، وإذن فلن تكون في تشريعه محاباة ، ولن يحس أحد أنه حين ينفذ القانون خاضع لمشيئة أحد . ومن ثم تتساوى الرؤوس ، وترتفع الهامات ، لأنها لا تعنو جميعاً إلا الله الواحد القهار .

أما من يقوم على تنفيذ التشريع ، فهو يستمد سلطانه في هذا من اختيار الأمة له . والطاعة المفروضة ليست لشخصه ، إنما هي لشريعة الله التي ينفذها ، ويسقط حقه في الطاعة إذا تعداها .

وبذلك يقف النظام الإسلامى فريداً في تحقيق المساواة المطلقة والعدالة المطلقة ، وفي تحطيم كل ظل لطغمان السلطان الفردى أو الطبقي ، أو سلطان الدولة بصفة عامة . ذلك السلطان الذى تمثله سلطه التشريع في النظم الأخرى .

٢ - شريعة التكافل :

أما الحياة الاجتماعية فقد أقامها الإسلام على أساس التكافل الاجتماعى . ووضع لهذا التكافل التشريعات المنظمة التي تبين طبيعته ووسائله . ولكنه اعتمد أولاً على تربية الضمير الفردى ، وعلى غرس البذرة الأخلاقية في الكيان الإنسانى .

ولقد اعتاد الكثيرون عندما يتحدثون عن التكافل الاجتماعى ، ودور العقيدة الدينية فيه أن تخطر بياهم كلمات : الإحسان والصدقة والبر . وعلى الأكثر كلمة الزكاة .

ولكن هذه الكلمات ، وما وراها من مدلولات ، وما حولها من صور وظلال ، لا تمثل حقيقة الدور الذى تقوم به العقيدة الإسلامية فى حقل « التكافل الاجتماعى » .

إن التكافل الاجتماعى فى الإسلام نظام اجتماعى كامل ، بكل ما يحمله اصطلاح « نظام اجتماعى » من مدلول ، فهو لا يعنى مجرد المساعدات المالية - فى كل صورها - كما تعنى مثلاً اصطلاحات « الضمان الاجتماعى » و « التأمين الاجتماعى » فالمساعدات المالية نوع واحد من المساعدات التى يعنىها التكافل فى الإسلام .

لقد عنى الإسلام بالتكافل الاجتماعى أن يكون نظاماً لتربية روح الفرد وضميره ، وتنمية مواهبه الخاصة واستعداداته للعمل والإنتاج ، وأن يكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وحمايتها ، وأن يكون نظاماً للعلاقات الاجتماعية ، وأن يكون فى النهاية نظاماً للمعاملات المالية ، والعلاقات الاقتصادية التى تسود المجتمع الإنسانى .

وهكذا ترى أن مدلولات البر والإحسان والصدقة - وحتى الزكاة - تتضائل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل الاجتماعى كما عناه الإسلام ، وكما طبقه فى واقع الحياة فى يوم من الأيام .

لقد بدأ الإسلام فجعل التكافل علاقة تربط بين المرء ونفسه ، فجعل الفرد مسئولاً عن نفسه أمام الله ، مسئولاً عنها أن يزيكها ويطهرها ، وأن يمتعها بالطيبات ويصدها عن الخبائث ، وأن يمنحها حقها من العمل والراحة ، فلا يدعها تترهل من البطالة ، أو تنهك من الإجهاد .

ذلك التكافل بين المرء ونفسه نظام ربوى ، يوقظ ضمير الفرد وحساسيته ، ويثبت شخصيته وإرادته . والحرية والتبعية هما قوام الشخصية المستقلة ، وهو تكافل فردى فى ظاهره ولكنه فى حقيقته تكافل اجتماعى على المعنى الواسع الذى يعنيه الإسلام . ذلك أن تربية الفرد على هذا النحو إنما هى إعداد له فى ميدان الحياة الاجتماعية . ولهذا التهذيب نتائج فى السلوك الاجتماعى والإنسانى .

بعد ذلك ينتقل الإسلام بالتكافل من ضمير الفرد إلى محضن الأسرة . فقيم هذا المحضن على أسس وطيدة من التكافل ، الذى يتعامل فيه الغنى والفقير ، وتناسق فيه الحقوق والواجبات . والأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، فإذا أقيم بناؤها على أساس التكافل خفّت الأعباء الاجتماعية على الدولة ، لأن قسطا كبيرا منها يمكن أن يتم فى سياق الأسرة .

هذا التكافل فى الأسرة ليس مجرد تكافل اقتصادى ، إنما هو تكافل إنسانى كامل ، يشمل واجب الحماية للأئمة ، وواجب العناية بالأطفال ، وإعدادهم للحياة جسميا وعقليا وروحيا ، وواجب الرعاية للآباء والأمهات عند الكبر والمهرم . . . إلى جانب التكاليف المادية التى تقوم عليها الأسرة .

وحماية للأئمة ، ولكى يهيب الإسلام للبيت جوه ، وللطفولة الناشئة فيه رعايتها ، أوجب النفقة على الرجل ، وأعفى منها المرأة ، كي يتاح للأم من الوقت والطاقة ما تشرف به على الفراخ الزغب فى العش المطمئن ؛ فالأم المكدودة بالعمل ، المرهقة فيه بمقتضياته ، والمقيدة بمواعيده ، لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها . وبيوت الموظفات والماملات أشبه شئ بالفنادق ، لا يشيع فيها ذلك الأرج الذى يشيع فى البيت . فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تخلقها المرأة ، وأرج البيت لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة ، وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم . والمرأة أو الزوجة أو الأم التى تقضى وقتها ، وتنفق جهدها ، وتبذل طاقتها فى العمل ، لا تطلق فى جو البيت — غالبا — إلا الإرهاق والكلال والملال .

إن الإسلام لا يحرم العمل على المرأة ، ولكنه لا يفرض عليها العمل كما يفرض على الرجل ، نظراً لهذه الاعتبارات ، ورغبة فى تحقيق التبادل بين الرجل والمرأة فى أعباء الحياة .

وهو يكفل لها حقها فى العمل حين تشاء ، وحقها فى الكسب ، وحقها فى الميراث ، وحقها فى التصرفات المالية بلا قيد ، وحقها فى اختيار شريك حياتها كما تحب ، وحقها فى طلب فسخ عقدة النكاح حين تتعذر الحياة .

فإذا انتقلنا من محضن الأسرة إلى محيط الجماعة ، وجدنا التكافل الاجتماعى

يشمل كل العلاقات الاجتماعية ، ولا يقف عند حدود المال والاقتصاد .

هناك تكافل بين الفرد والجماعة ، وبين الجماعة والفرد ، يرتب تبعات متبادلة على كلٍ منهما ، كما يرتب حقوقاً متبادلة تقابل هذه التبعات ، والإسلام يبان في هذا التكافل حد التوحيد بين المصلحتين ، وحد الجزاء والعقاب على نقصير أى منهما في النهوض بتبعاته .

كل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص ، لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعة ، وأن ينهى نفسه عن المنكر وأن ينهى سواء ، وأن يرعى حرمت الجماعة ويجاهد في سبيل صيانتها ما استطاع .

ولكل فرد على الجماعة — أو الدولة النائية عن الجماعة — حقه في الإعداد للعمل علمياً وعملياً ، وفي تيسير العمل وكفالاته للقادرين عليه .

ولكل عامل الحق في أن يجد مسكناً مناسباً يقيه الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن يجد ملبساً مناسباً يقيه حر الصيف وبرد الشتاء ، وأن يجد طعاماً مناسباً يحفظ عليه حياته وطاقته ، وأن يجد أداة للانتقال حسب اليسر من أدوات الانتقال في كل عصر . فإذا شاء أن يتزوج أعانتته الدولة إن لم يكن لديه ما يكفي لتلبية هذه الحاجة الفطرية ، وكف نفسه عن التطلع إلى الحرام .

والفرد مؤاخذ ومسئول إن هو قصر في التزاماته ، والجماعة مؤاخذة ومسئولة إذا هي قصرت في التزاماتها للأفراد .

ومن هنا نرى أن التكافل الإجتماعي في الإسلام ، ليس نظام إحسان وصدقة إنما هو نظام إعداد وإنتاج ، تنشأ عنهما الكفاية الذاتية للقادرين ، فأما العاجزون عجزاً جزئياً أو كلياً مؤقتاً أو دائماً فهم الذين تخصص لهم موارد الزكاة والصدقات . إن الزكاة ليست سوى قاعدة واحدة من قواعد التكافل الاجتماعي الكثيرة ، وهي ليست إحساناً فردياً متروكاً لوجدانات الأفراد وتقديرهم الذاتي ، إنما هي حق تأخذه الدولة وتقاتل عليه ، وتنفقه الدولة في مصارف تشبه إلى حد كبير مصارف « الضمان الاجتماعي » و « التأمين الاجتماعي » مجتمعين . مع الأخذ بنظام اللامركزية ؛ فزكاة كل إقليم تنفق أولاً في حوائجه ، فإذا فضل منها شيء رد إلى بيت المال العام للإتفاق منه على سائر سكان الوطن الإسلامي ، بلا تفريق بين الأديان والألوان !

« البقية في العدد القادم »

فإنف العجلة الإسلامية

* في غرب أوروبا

* فلسطين

في غرب أوروبا

جاءتنا هذه الرسالة من الجماعة الدينية الإسلامية في غرب أوروبا بميونخ :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد . باسم الأخوة الإسلامية ، نتشرف بأن نعرض عليكم ما يلي ، بينما الألم العميق يحز في نفوسنا إلى حد بعيد :

لقد هاجر الألوف من المسلمين من أوطانهم الأصلية في التركستان وأذربيجان والقفقاس وغيرها من مناطق آسيا الوسطى ، وكذلك من معظم بلاد البلقان ودول أوروبا الشرقية ، وذلك بعد أن وقعت بلادهم بين براثن الوحش الشيوعي السفاح ، الذي أخذ اليوم يهدد جميع القيم البشرية والثقافة وكل نواحي المدنية ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية . لقد أخطر هؤلاء المسلمون إلى ترك أوطانهم ، بعد أن قضوا عشرات من السنين في الصفوف الأولى ، مجاهدين في سبيل حرية وحماية دينهم وتراثهم الإسلامي . ويوجد الآن عدد كبير منهم في ألمانيا الغربية يبلغ ثلاثة آلاف مسلم ، استوطنوا هنا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ، بعد ما رفعوا لواء الجهاد المقدس ضد البلشفية أثناء تلك الحرب ، متخذينها فرصة لوضع حد نهائي للاضطهاد الديني والمبودة جسما وروحا . إن سجل كل واحد من هؤلاء المسلمين حافل بالجميل من الأعمال المشرفة ، سواء كان ذلك في النضال أو التضحية أو حماية معتقده الديني : معتقد آباءه وأجداده . إن كل واحد منهم مصمم على حفظ معتقده هذا سالما صحيحا ماف .

إن حالة المسلمين هنا ليست بالتي يحسدون عليها أبدا في الواقع . فهم منذ عام ١٩٤٥ في نضال مستمر لحفظ بقائهم كسلمين ولتنع فنائهم التام أو الجزئي . لقد نجحوا من هلاك محقق على أيدي الشيوعيين المجرمين ، الذين عمو الملايين - نكسر الملايين - من إخوانهم ، الذين بقوا تحت رحمة الشيوعيين بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك كمقاب لهم على عدم إخلاصهم ومقاومتهم المكشوفة للنظام الشيوعي أثناء تلك الحرب . وإنه لمن المؤسف جدا حقا أن تكون هذه الحقيقة الرهيبة مجهولة في العالم الإسلامي ، أو على الأقل ، فإن خطورتها وخطاعتها غير مقدرتين التقدير الكافي كما هو مشاهد وملاحظ .

وفي نفس الوقت ، يوجد في ألمانيا الغربية كذلك ، الكثير من الفارين من جحيم الشيوعية . غير المسلمين . ولكن حالة هؤلاء لا تقاس أبدا مع حالة المسلمين من كل الوجوه : لأنهم

يتلقون العون ، بشكل منظم ومنتظم ، من كل جهة ومن مختلف الهيئات والمنظمات ، المحلية والعالمية على السواء ، وهذه بدورها تحرم المسلمين على أساس ديني ، من كل الإمكانيات المقدمة لغير المسلمين . إن هذه الإمكانيات تقدم في الغالب تحت أسماء مختلفة ، ولكنها في الواقع مبنية على أساس ديني صرف .

إننا نشعر هنا ، وكأننا بنامي ، لا ولى لنا ولا ناصر ، لا منظمات لنا ولا أصدقاء ، مع أننا جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامى الواسع . إننا فى أمس الحاجة إلى كل تأييد معنوى ومادى ، حتى تتمكن من القيام بواجباتنا المقدسة تجاه الله والدين الحنيف . إننا هنا محرومون من أى تعليم دينى أو إرشاد أو قيادة ، والعنويات آخذة فى التدهور لدرجة خطيرة ، وفوق هذا وذاك ، فإن اليأس قد أخذ ينشر ظلاله السوداء المقيتة فوق العقول والنفوس ، اليأس من جدوى الأخوة فى المسلمين اليوم ، ومن كونهم أمة واحدة وجسم واحد كالبنيان المرصوص بشد بعضه بعضا ، وسبب ذلك أن هذه ليست هى المرة الأولى التى توجه فيها النداء والاستغاثة . فهل يرضى الضمير الإسلامى أن يرى هذا التطور السلبي ويبقى ساكنا غير تائر ٢٢٢ ؟

ولكن رغم كل ذلك ، فإننا ما زلنا على البعد أمينين ، وما زلنا نتابع النضال على الطريق الشائكة الصعبة . إننا مسلمون ونريد أن نعيش فى الإسلام وأن نموت فيه وفى سبيله . إننا نريد أن نورث أبناءنا وأحفادنا هذا السكز الثمين ، الذى ورثناه عن آبائنا وأجدادنا ، إنه دين نبينا العربى العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ولذلك ، فقد اتفق عدد من المهتمين والفيورين على دينهم فاجتمعوا وقرروا تأسيس جمعية إسلامية ، هى الآن - مجلة رسمياً فى مدينة ميونيخ - ولكن رغم مضى أكثر من عام على التأسيس ، فإننا لم تتمكن بعد من إيجاد مكتب خاص لنا ، فنحن منظمة بلا مأوى الآن ، ومعلقة بين السماء والأرض .

إن غرض الجمعية الأساسى هو إحياء الدين وتقويته بين المهاجرين الذين يجب إنقاذهم من خطر التدهور المعنوى واليأس .

وفيا لى طائفة من أهدافنا التى نبغى بإذن الله تحقيقها : -

١ - توسيع المسجد البسيط جدا والذى أقناه من الحشب هنا والعناية به ، وإن أمكن إقامة مسجد فى كل مكان يوجد فيه - مسلمون .

٢ - تلقين الأطفال والكبار على السواء التعاليم الدينية وإقامة المدارس لتدريس كتاب الله العزيز .

٣ - طبع ونشر الكراريس عن الإسلام لنشره وتقويته وإلقاء المحاضرات عنه وعن تاريخه المجيد .

٤ - العناية بالمرضى واليتامى والفقراء ودفن موتانا ... الخ .

٥ - تأسيس جريدة تنطق باسم الجمعية ؛ ولا تخفى أهمية ذلك فى جمع وتقوية الصفوف .

٦ - العمل على إيجاد مقر محترم للجمعية يتفق مع مركز وكرامة ديننا ولا سيما ونحن نمثله هنا فى الواقع .

٧ - العمل على إيجاد قطعة من الأرض تكون مقبرة خاصة بالمسلمين . إن أما كن كهذه هنا هى بالأجرة فقط . فئلا ، نحتاج إلى مبلغ خمسة آلاف مارك ألماني لأجرة قطعة الأرض لمدة

سبع سنوات . ولا ندري كيف ومن أين ندير هذا المبلغ ، إذ أن دخل أفراد الطائفة محدود جدا . والكثير منهم يتلقى راتب البطالة الضئيل جدا من مكتب العمل الألماني ، وهو لا يكفي حتى لحفظ البقاء .

إن هدفنا الأساسي هو خدمة الله ودينه الحنيف ، ولسكن هذا صعب المثال ما دمنا في مثل هذا الوضع معزولين ومهملين . فإلى أين ولبن نتجه ونتوجه لطاب العون والتأييد ؟ ؟ ؟ ليست لدينا أية مصلحة خاصة أو شخصية في كل ذلك ، وإن أعمالنا وبرامجنا مفتوحة لكل من يريد التدقيق والمحاسبة . إننا قد تركنا أوطاننا وكل غال ونفيس بسبب الاضطهاد الديني ، آملين أن نتابع النضال من الخارج . إنه لمن المستحيل تمويض الوطن العالي بثروة الدنيا بأسرها ، هذا الوطن الذي يشن الآن ويتألم تحت وحشة الشيوعيين ، وابتغى الخلاص والتحرر ، الذين كرسنا له حياتنا ، حتى تتمكن أخيرا من القيام بشعائر ديننا بكل حرية وبالشكل الذي نريد .

إننا نكتب إليكم الموقر على أمل وبقين بأن روحكم الإسلامية ستثور على ما هو عليه إخوان لكم من سموات ومخاطر . إننا نتوجه إليكم راجين العون والإنقاذ : إنقاذ طليعة إسلامية مجاهدة في قلب أوروبا .

إن هذا النداء ، كما هو موجه إليكم ، هو أيضا موجه إلى كل مسلم ، وليس هناك من مانع من نشره وإعلانه . ونأكدوا بأن المهمة المقدسة التي نكرسون جهودكم الآن من أجلها ، ألا وهي إنقاذ الأرض المقدسة فلسطين ، هي أيضا مهمتنا ، وسنكون أول من يلبي داعي الجهاد في هذا السبيل . إننا نتوقع ونتنظر ونرجو من أعمق قلوبنا الدائمة عملا حاسما وسريعا ، ونحن بانتظار جواب من حضراتكم على أحر من الجمر حتى نعرف الرأي والنصح والإرشاد .

ثم جاءت الرسالة التالية من الجمعية نفسها :

« افد فائنا أن نذكر في ندائنا المشار إليه بأنه يوجد عندنا في الوقت الحاضر حوالي (٥٠٠) طفل من آباء مسلمين وأمهات غير مسلمات . وإنه لمن دواعي الألم الشديد جدا أن نقول بأن هؤلاء الأطفال يقيمون في هذه الآونة معتقدات أمهاتهم الدينية . وسبب ذلك هو عدم وجود الإمكانيات عندنا لجمعهم وتثقيفهم بالروح الإسلامية ، ولا عجب في ذلك في وقت يحتاج فيه آباؤهم أنفسهم إلى ذلك . ولا ندري هل يقبل الضمير الإسلامي هذا الوضع الشاذ القريب ! إن هؤلاء الأطفال يجب إنقاذهم قبل فوات الأوان ، « والسلام على من اتبع الهدى » .

الرئيس

(إبراهيم فاجا أوغلو)

و « المسلمون » تشاهد المسلمين جميعا أن يبادروا إلى معونة إخوانهم بما يستطيعون ، وتخص في ذلك الهيئات والأشخاص القادرين ، وعنوان الجماعة في ألمانيا هو :

MUSULMANLARIN BATI AVKOPADAKI
MUNCHEN 54 ACHATSTRASSE 4
Germany

فلسطين

١ - الولايات المتحدة تبني إسرائيل :

وضعت البعثة الأميركية للمساعدات في إسرائيل تقريراً عن نشاطها وأعمالها وأثر المساعدات الأميركية في بناء إسرائيل .

وجاء في مقدمة التقرير أن أعمال بعثة المساعدات الأميركية في إسرائيل ذات ثلاث شعب متشابكة مترابطة هي : -

١ - المساعدات ٢ - الهبات ٣ - المساعدات الفنية .

وقال التقرير إن أعمال كل شعبة مترابطة بالأخرى إلى أقصى حدود الإمكانية لأن هذا التدبير قد برهن على أنه يساعد على مجابهة المشاكل الاقتصادية فيكون كل برنامج قد أكل الآخر وسانده في عملية التنفيذ .

فالمساعدات تقدم عن الماشي والآلات . والهبات لسد نفقات ما يشتري ويصرف عملياً عن بضائع وأجرة عمل . والمساعدات الفنية تهتم بإيجاد وجلب وتأمين أجور الفنيين وتعليم السكان على الأعمال .

المساعدات : تقول البعثة في تقريرها إن سياستها الرئيسية كانت أن تحفظ اقتصاديات إسرائيل من الانكماش والانهيار بسبب نقص العملات الأجنبية الصعبة ، ولقد كان للبعثة أربعة أهداف هي -

(أ) المحافظة على سمعة إسرائيل بالعمل على عدم وقوعها في عجز عن دفع ديونها الخارجية وقد قدمت البعثة لإسرائيل ٣١ مليون دولار عام ١٩٥٢ و ٣١ مليون دولار عام ١٩٥٣ .

(ب) الحيلولة دون تدهور مستوى المعيشة مما قد يسبب القوضى في إسرائيل .

(ج) شراء البضائع التي تساعد على زيادة الإنتاج وإسكان اللاجئين اليهود .

(د) مساعدة إسرائيل على تركيز سياستها المالية سليمة وارتباطات صحيحة .

الهبات : يقول التقرير إن الأموال التي حصلت عليها إسرائيل من الهبات الأميركية بلغت حوالي ٣٠ مليون دولار عام ١٩٥٢ و ٣٧ مليون دولار عام ١٩٥٣ . وقد استهدف برنامج الهبات ثلاثة أمور : -

(أ) الحد من المدفوعات التي تسبب التضخم في إسرائيل .

(ب) تمويل المشاريع العمرانية الأساسية التي لها علاقة بمدفوعات الدولار والمساعدات الفنية :

(ج) معاونة الحكومة على تفوية سياستها المالية الداخلية :

المساعدات الفنية : أما المساعدات الفنية - النقطة الرابعة - فتخدم عددا من الأهداف الرئيسية ، لأنها وسيلة ذات نتائج طويلة الأمد في مساعدة إسرائيل على عدم الاعتماد على الخارج في التمويل من طريق تحسين الزراعة والصناعة وزيادة الإنتاج في الحقول العمالية الأخرى .

وهكذا تبني الولايات المتحدة « إسرائيل » عن طريق المساعدات والهبات والقروض والفنيين والتمويل ، وزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي ، وتأمين السوق التجارية الخارجية ، والمحافظة عليها وعلى سمعتها بتسديد ديونها ، إنما تساعدنا في كل شأن من الشؤون وبكل وسيلة ممكنة . لأن إسرائيل ما كانت لتعيش شهراً واحداً لولا الولايات المتحدة التي تدعى صداقة العرب والمسلمين .

٢ - أنباء متفرقة :

* نزل فضيلة المرشد العام أثناء وجوده بالأردن ضيفاً على المؤتمر الإسلامي بالقدس وكان برافقه في جولته في الحطوط الأمامية الأمين العام للمؤتمر الأستاذ سعيد رمضان والأستاذ كامل الشريف عضو المكتب الدائم .

وقد أجاب فضيلته حين سئل في بعض البلاد عما يمكن عمله لقضية فلسطين بقوله : « اتصلوا بالمؤتمر الإسلامي وأعينوه بأموالكم حتى يؤدي مهمته »

* أعلن رسمياً أن حكومة إسرائيل قد اضطرت إلى أخذ فروض من البنوك المحلية لدفع معاشات موظفيها . وقد بلغت هذه الديون حتى الآن ثمانية وعشرون مليون دولار وربع المليون من الدولارات . وكانت الحكومة تحب هذه الأموال من البنوك شريطة أن تسدها في الحال ولسكنها لم تفعل ذلك

* اجتمع المكتب الدائم للمؤتمر بعد الحوادث الأخيرة وقرر التوسع في تحصين القدس وإنشاء وسائل الوقاية للمدنيين ، وقد أصدر المكتب بياناً أعلن فيه بمناسبة أحداث القدس الأخيرة أنه ماضٍ في خطته الإعدادية في صمت وأن الأموال التي وردت إليه حتى الآن — على قلتها — لا تصرف إلا فيما ينفع ، وقال البيان : لقد علمتنا التجارب أن لا نعتمد بعد الله إلا على أنفسنا وأن السلام لا قيمة له .

* عقد الإخوان المسلمون مع فرع المؤتمر الإسلامي بالعاهرة اجتماعاً عاماً في العاصمة المصرية على أثر العدوان اليهودي الأخير على مدينة القدس وقرروا فيه دعوة الشعوب العربية والإسلامية لنبشة جميع قواها وإمكاناتها لدعم الفزو اليهودي ومطالبة الحكومات العربية والإسلامية بإرسال قوات عسكرية للدفاع عن فلسطين وحماية القدس وتسلية الفلسطينيين ليداهموا في الدفاع عن وطنهم .

* ازداد تحليق الطائرات اليهودية خلال الأسبوع الماضي فوق القدس والحليل ونابلس وجنين بصورة غير عادية .

* منعت إسرائيل كثيراً من العائلات اليهودية من العودة إلى الجمهورية الرومانية .

* جاء في جريدة دافار اليهودية أنه علم من أوساط وزارة الخارجية في القدس أن إمبراطور الحبشة (هيلاسيلاسي) قرر دعوة حكومته إلى الاعتراف بإسرائيل وإنشاء علاقات دبلوماسية معها . لقد كان النجاشي يشمر دائماً شهوراً قلبياً مع إسرائيل ، ولكن الضغط العربي ، وخصوصاً من جانب مصر ، هو الذي منعه من اتخاذ هذه الخطوة حتى الآن .

ما رأى المسئولين في الحكومات العربية ودعاة الصداقة مع الحبشة ؟ !

* أشيع أن إيران تفكر في الاعتراف بإسرائيل أيضاً .

The cure

A few minutes earlier I told you what the Muslims need to-day is a fresh Divine cry, "Back to God, Muslims everywhere." Such a cry in this materialistic age will be most assuredly as effective as it was 13 centuries back, when our dear Prophet, peace be on him, cried in Mecca :

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ .

"Therefor flee unto Allah ; I am a plane warner unto you from Him. And set not any other god along with Allah. I am a plane warner unto you from Him."

If such a cry was strange then, it shall appear to be strange now, God says :

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا .

"God has promised such of you as believe and work righteous deeds that He will surely make them to succeed (the present rulers) in the earth even as he caused those who were before them to succeed (others) and that he will surely establish for them their religion which He has approved for them, and that he will give them in exchange safety after their fear."

God's promise is clear, and God does not hold out false promises. If we believe in the Quran, then, let us try. Let us begin with ourselves and call upon others to adopt the faith and act according to its behests most sincerely and honestly. Let us submit to the commands of God and God most assuredly will fulfil his part of the promise. It may be a heavy task but is it not worthy of its performance ? God says :

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

"Who is better in speech than him who calls men to God, acts works righteously and says : I am of those who surrender (unto Him)."

(to be continued)

turns to God, God never gives you up. When Heaven is your aim, nothing can turn you back. You become irresistible in your spirit and no amount of clay can conquer you. Yes, dear brother, it is a matter of quality and not quantity. The small lamp in your room defeats a large amount of darkness. That is why God's constant advice to his Apostle was continuously to remind himself of the truth he was holding and serving :

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ .

"So put thy trust in God : for thou art on the path of manifest truth."

and,

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

"So hold thou fast to the Revelation sent down to thee, verily, thou art on the straight path."

The hope that never could be conquered in any trouble or crisis was always shining through such injunctions :

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ .

"That is because God is Truth, and because whatever else they invoke besides Him is falsehood, and because He is the Most High and the Most Exalted."

Dear brother, that was our Prophet, peace be on him, and that was his message for which he offered his whole life without one day rest or one minute despair He died after completing his mission and left for us a sacred inheritance. On the day of Judgement we shall be asked to render an account of the way we used or abused this sacred inheritance. Are we prepared for the day when God shall say :

وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ .

"And stop them, for they must be questioned."

How long shall we allow this heritage to suffer an eclipse through our perpetual laziness, and disgraceful preoccupation with earthly lusts ?

at the door ! Are they not sufficient to prove the folly of the leading powers and to stir up the true soldiers of God in this earth to lend the suffering humanity a hand, that can offer it the Divine elixir of life free from darkness, shallowness and debasement.

Remember Prophet

Yet such a life and light did come to illuminate the life of man when the Prophet Mohammad, peace be upon him, started his Jihad.

Imagine the surroundings of the Holy Prophet. The power of Rome on the left and the power of Persia on the right and the scattered Arab Tribes absolutely ignorant and passionately devoted to the darkness they had inherited from the past ! His task was to captain the whole earth with the Divine Message revealed to him. It was a very heavy task indeed. How to face circumstances so dark as these and assert the beauty and truth of a message in direct conflict with their understanding and with the very foundations of their life and conventions ? It was not a revolution against a throne or a State for establishing his own supremacy. No, it was a revolution against the mean qualities and evil tendencies ingrained in all hearts and minds. It was a revolution against the temper of selfishness and the spirit of materialism which soils the glory of life. When he succeeded to be the symbol of his revolution and to have a firm faith, and an unquenchable love for truth he could illuminate all his surroundings in a few years. He could draw out from "Abu Bakr," a humble trader in Mecca, the Governor who sent eleven armies in one day to defend the poor when some of the rich refused to pay "Zakat"; and remarkably enough this has been the only occasion in history when a Government stood by the poor against the capitalists with such a firm resolve. From Omar Ibnul Khattab, a man who before Islam used to prostrate himself before an idol of dates and then to eat them, the prophet of Islam could bring out Omar who has been characterised by the enemies of Islam as the man who never committed a fault. Amr Ibnul Aas, a humble butcher in Mecca before Islam, could turn out to be the Conqueror of Egypt. Such was the revolution of Mohammad "may peace be on him" which converted the desert into a lusty garden of human giants. It was very soon, therefore, that the Romans and Persians were compelled to bow before these Divine rebels fired with truth and fighting with an unconquerable sword. When your heart

WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 8 —

We are commonly in the habit of blaming the Western Powers for the ruthlessness with which they have exploited us. But to me this is only a way to shirk our own responsibility. Amir Abdul Karim Alrifi gave me a more convincing explanation of that. He said "Let us not think that all the fault lies with the Western Nations in spoiling the East. We were the rulers, when we came to be degenerated we offered favourable opportunities of aggrandisement to the West. Nursing our own weakness how long would we have expected to enjoy the absence of a formidable foe ? We allowed ourselves to be exploited by natural enemies." Such is the bitter truth and we must face it with grief and shame.

What to do ?

What Muslim need to-day is a fresh divine cry to call upon them "Back to God : Muslims everywhere" — A fresh divine light, pure and clear, rising from the depths of a sincere heart. High sounding words, argumentative debates, huge demonstrations, pompous processions and thundering slogans are absolutely ineffective as far as real constructive work is concerned. They do more harm than good. We have practised them enough already. The magical effect they are supposed to exercise is nothing more than our own temporary delusion. They are yet another proof, and a palpable one, of the barrenness of all unbased efforts. Our solution lies somewhere else. It lies on the basis of social life itself. The diseases that humanity suffers from are nursed within the heart and the mind of man himself. The knot of all problems of man is this : God is neither realized in hearts nor recognized in mind, nor conscientiously striven for in acts.

Such a knot cannot be unbound but with belief, true belief that can conquer the self of man and thus sweep the whole earth. Every other sort of effort is a more mirage, a delusion, persistently deceiving humanity, misguiding innocents, and cheating the very aspirations and dignity in man. Two terrible wars in no more than twenty years, and the third the awful third knocking

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات العدد التاسع

صفحة

أنت	لرئيس التحرير	١
داء المسلمين ودواؤهم	لساحة السيد محمد البشير الإبراهيمي	٤
أخلاق السلم واللمة	لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة	٩
بين النصيحة والتشهير	للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي	١٨
الانحراف من العقيدة	للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى	٢٤
بين قوتين	للامام الفقيه حسن البنا	٣١
الأسس الروحية في الإسلام	لفضيلة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا	٣٤
خاطرة : مع السلف		٤٢
الغزو العربي من حرب عالمية إلى أخرى	للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس	٤٣
من ملامح هذا الدين		٥٢
الطريق إلى مكة	للأستاذ محمد أسد	٤٥
خطوط في شريعة الإسلام وحكمه	للأستاذ الدكتور صبحي محصاني	٦٠
سبعات فكر	للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام	٦٦
برنامجنا الاقتصادي	للأستاذ محمود أبو السمود	٦٨
باب الكتب : نقد وتعريف		٧٣
ندوتنا		٨٧
إن لبدنك عليك حقا	بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه	٨٥
مع العارفين : ثورين يزيد		٨٧
تونس المجاهدة « شعر »	للأستاذ محمد الأسمر	٩٠
حقائق من الإسلام		٩٢
في أفق العالم الإسلامي		٩٩
What Are You ?	By the Editor	1
الفهرس		١٠٨